الجامعة الأردنية

كلية الدراسات العليا

الوجهة الاجتماعية في منهج التحليل اللغوي في الخصائص عند ابن جنّي

عميد كلية الدراسات العليا

إعداد

سائدة عمر عبد الله العيص

إشراف

الدكتور محمود جفال الحديد

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية

كانون الأول/ ١٩٩٦م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١٩٩٦/١٢/٢١ م وأجيزت.

أعضاء اللجنة		التوقيع
١- الدكتور محمود جفال الحديد	(مشرفاً)	.....
٢- الاستاذ الدكتور ابراهيم السامرائي	(عضواً)	.....
٣- الأستاذ الدكتور نهاد الموسى	(عضواً)	.....
٤- الدكتور جعفر عبابنة	(عضواً)	.....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهـــــداء

إليك إلهي باسط روحي وقابضها أقدم هذه السطور عساها أن تكون ذرة في ميزان رضاك عني يوم لا ميــزان إلا مــيــزانك ، ولا رضــى إلا رضــاك .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشكر
(ومن شكر فإنما يشكر لنفسه)

شكراً لله المنعم على موفور فضله ، أن خلقنا مسلمين ، فإنه يشرفني أن أزجي شكراً خالصاً إلى أستاذي الدكتور محمود جفال الحديد ، الذي شرفني برعاية بحثي هذا . فلقد أعانني كل العون منذ اللحظة التي بدأت أفكر فيها بموضوع البحث حين أشار عليّ بموضوعه ، وقد كان موضوعاً ممتعاً حقاً . ثم تابع معي تلمس مسالك البحث الرئيسة والفرعية ، وما إن بدأت الكتابة حتى شرع يقرأ ما أكتبه كلمة كلمة ، ويقدم لي الملاحظات العديدة ولم يكن يتوانى أن يقرأ الفصل غير مرة . ولا أنسى استعانتي بمكتبته الخاصة ، فله جزيل الشكر والامتنان ، وجزاه الله خير الجزاء .

وللأستاذ الدكتور نهاد الموسى كذلك جزيل الشكر والامتنان على ما منحني من وقته الثمين ، ونصحه القيّم ، وإرشاده الهادي ، فجزى الله خيراً كل من كانت له بصمة علم تخدم الإنسانية هنا أو هناك .

سائدة العيص

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيان المحتوى

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
شكر وتقدير	د
فهرس المحتويات	هـ
الملخص	و
- **التمهيد**	١
* **ابن جنّي**	١
- اسمه ونسبه	١
- مكانة ابن جنّي	٢
- مذهب ابن جنّي النحوي	٧
- كتاب الخصائص	١٢
الفصل الأول	
* **من علم اللغة العام إلى علم اللغة الاجتماعي**	١٥
-المدارس اللغوية	١٥
- البنائية	١٦
- الوظيفية	١٧
- المدرسة الاجتماعية الانجليزية	١٩
- علم اللغة الاجتماعي	٢١
- الكلام نوع من النشاط الاجتماعي	٢٥
- الكلام والهوية الاجتماعية	٢٦
- النفوذ والتواصل	٢٧
- انتماء المتحدث إلى مجموعة	٢٩
- السلوك الكلامي والسوك غير الكلامي	٣١
- المضمون	٣٤
- الوجهة الاجتماعية عند اللغويين العرب	٣٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- النظرة الاجتماعية للغة عند ابن جنّي ٤١

الفصل الثاني

*** منهج التحليل اللغوي الداخلي في الخصائص** ٤٩
- اولاً : الأصوات ٤٩
- ثانيا : الأبنية ٥٦
- ثالثا : الأعاريب ٥٩
- رابعا : التراكيب ٦٢

الفصل الثالث

*** منهج التحليل اللغوي الخارجي في الخصائص** ٦٦
- أولاً : المعنى ٦٦
- ثانياً :التشكيل الاجتماعي ٧٦
- ثالثاً : التفاوت الفردي بين المتكلمين ٨٠

*** عناصر التحليل الخارجي في الخصائص** ٨٥
- أولاً : حال المتكلم ٨٦
- غرض المتكلم ٨٨
- نية المتكلم ٩٠
- ذاكرة المتكلم ٩١
- الحالة النفسية للمتكلم ٩٢

ثانياً :حال المخاطب ٩٣
- المثل وحال المخاطب ٩٤
- علم المخاطب مسوغ للحذف ٩٥
- مكانة المخاطب ٩٦
- ملل المخاطب ٩٨
- نفسية المخاطب ١٠٠

ثالثاً: الحال المشاهدة ١٠٠
- الحال المشاهدة والاعراب ١٠٢
- الحال المشاهدة وجلاء المعنى ١٠٢
- الحال المشاهدة تقوم مقام اللفظ المحذوف ١٠٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

*** مظاهر التحليل الخارجي في الخصائص.** ١٠٧

- اولاً: الأصوات. ١٠٧
- مشاكلة الصوت طبيعة الحدث ١٠٧
- اثر الصوت في المخاطب ١٠٩
- سوق الأصوات على سمت المعنى المقصود ١٠٩
- ارتباط المعنى بأصوات مخصوصة ١١٠
- تجاوب حركة الصوت وسكونه مع أداء المتكلم. ١١١
- استثقال المتكلم لتوالي بعض الأصوات يمنع اجتماعها. ١١١
- غاية المتكلم توضح الصوت المجهول. ١١٢

ثانياً : الأبنية ١١٣

- هيئة الحدث الخارجي تحدد البناء الداخلي للفظ. ١١٣
- غرض المتكلم يؤثر في بناء الفعل ١١٥
- غاية المتكلم في الاحتياط تحدد صيغة الفعل ١١٦

ثالثاً :الإعراب ١١٦

- مراعاة عدم نقض غرض المتكلم تمنع التوكيد. ١١٦
- غرض المتكلم يمنع إعراباً ويسوغ آخر. ١١٧
- منع توكيد ما نابت عنه الحال المشاهدة ١١٧
- فائدة المخاطب تقود الإعراب. ١١٩
- ارتباط الأحداث بالأزمان وأثره في توجيه الإعراب. ١٢٠
- الحقيقة الكونية مقياساً لصحة الاعراب. ١٢٣

رابعاً : النظم ١٢٤

- حال المتكلم تقتضي حرف الجر المعبّر عنها. ١٢٤
- الحقيقة الإيمانية لدى المتكلم تبيح له الخروج عن مألوف القاعدة النحوية ١٢٥
- عادة المتكلم في أموره الحياتية تجوّز له العدول عن صيغة جمع إلى صيغة أخرى ١٢٧
- ألفة المتكلم لنظم لغوي معين تعدل به عن النظم اللازم نحوياً. ١٢٧
- فائدة المخاطب مقياساً لصحة النظم. ١٢٨
- عدم اتساق النظم وواقع الحقيقة الكونية يفسده ١٢٩
- خامساً : الذكر. ١٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- اكتفاء المتكلم بالسبب دون المسبب لإدراك المخاطب العلاقة بينهما ١٣٠
- خبرة المخاطب بأفعاله الحياتية تسّوغ العدول عن لفظ إلى آخر. ١٣١
- ذكر اللفظ تمكيناً للمعنى في نفس المخاطب. ١٣٢
- سادساً :الحذف ١٣٢
-اعتماد المتكلم على حقيقة الموت يبيح له الحذف ١٣٤
-خبرة المخاطب بلغته تسوغ للمتكلم الحذف ١٣٤
- معرفة المخاطب بشرع عقيدته يسوغ الحذف ١٣٥
***الخاتمة** ١٣٦
*** أهم المصادر والمراجع** ١٣٧
*** فهرس الآيات** ١٤١
*** فهرس أبيات الشعر** ١٤٢
*** الملخص باللغة الانجليزية** ١٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص

الوجهة الاجتماعية في منهج التحليل اللغوي في الخصائص عند ابن جنّي

إعداد : ساندة عمر العبص

إشراف الدكتور محمود الحديد .

تقوم الدراسة على تبين دور ابن جنّي في التحليل اللغوي من خلال رصد الإشارات والملاحظات المتفرقة في كتاب الخصائص التي تشير إلى تنبه ابن جنّي وعنايته بالجانب الاجتماعي للغة، ثم جمع هذه الإشارات ووضعها في إطار نظري يشكل نظرية في الوجهة الاجتماعية للمنهج اللغوي عند ابن جنّي في ضوء اللسانيات الاجتماعية.

والسؤال الذي ستجيب عنه الدراسة: هل التفت ابن جنّي إلى البعد الاجتماعي في وصف العربية ورسم معايير النظام النحوي؟ ثم ما مدى العمق الذي نفذ إليه في بيان وجود العلاقة بين النظام اللغوي والمحيط الخارجي للغة؟.

وتبرز أهمية الدراسة في مساهمتها في إحياء أصل من أصول الدرس اللغوي عند العرب من خلال عمل ابن جنّي في الخصائص خاصة.

وقد قدمت للبحث بفكرة عامة حول علم اللغة العام من خلال التعريف بالمدارس اللغوية كالبنائية والوظيفية ثم المدرسة الاجتماعية الانجليزية التي تمثل فيها الاتجاه نحو علم اللغة الاجتماعي.

ثم وقفت عند بعض العناوين البارزة في علم اللغة الاجتماعي والتي ستخدم البحث عند الربط بين رؤى علم اللغة الاجتماعي وإشارات ابن جنّي لاجتماعية اللغة.

وقبل البدء بالتحليل اللغوي الخارجي عند ابن جنّي، عرجت على منهجه في التحليل اللغوي الداخلي، قصد ايضاح صورة الفرق بين المنهجين في التحليل اللغوي من حيث الأصوات والأبنية والأعاريب والتراكيب. وذلك من خلال تناول بعض المسائل اللغوية التي وردت في كتاب الخصائص وعرضها عرضاً يبين سبيل ابن جنّي ونهجه في المعالجة الداخلية للغة. مع ايراد بعض الآراء النحوية احياناً لنحاة سبقوا ابن جنّي كسيبويه أو جاءوا بعده كابن مالك وغيره. ولم أعمد إلى الإكثار من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآراء والأقوال للغويين أو النحاة في المسألة موضع الشاهد. فالمسألة اللغوية لم تكن هدفاً بحد ذاتها، وليس في البغية ترجيح رأي على آخر. وانما كانت العناية متوجهة إلى النهج أو السبيل الذي يسير به ابن جنّي بهدف رصد الإشارات والملاحظات التي تنبئ بنظرته الاجتماعية للغة.

وقد فرض الأمر احياناً الوقوف على الشاهد اللغوي غير مرة ولي في هذا عذر ابن جنّي نفسه حين يقول في الخصائص: اولا تستنكر إعادة الحكاية، فربما كان في الواحدة عدة أماكن مختلفة يحتاج فيها إليها!.

ولم أعمد إلى كتاب الخصائص أستقصي جميع شواهده وأمثلته أحشدها للمسألة الواحدة وانما اكتفيت بمثال أو اثنين أدلل من خلالهما على الرؤية المنوي ايضاحها.

وكان أن واجه البحث مشكلة قلة المصادر والمراجع فيما يتعلق بعلم اللغة الاجتماعي، فمكتبتنا العربية ليست وفيرة المؤلفات في هذا العلم. أضف إلى ذلك مشكلة التكرار في هذه المؤلفات. فما ذكره السعران مثلاً فيما يتعلق بالمدرسة الإجتماعية الانجليزية وبنظرية فيرث وجدته عند معظم من كتب بعده، نقلاً حرفياً أو مختصراً، ولا زيادة فيه تذكر. والمؤلفات المترجمة لم تسعف البحث كثيراً لقلتها. باستثناء كتاب هدسون فقد أفدت منه كثيراً. كما أفادت منه المؤلفات العربية واعتمدت عليه، كما لاحظت مثلاً عند صبري ابراهيم السيد في كتابه "علم اللغة الاجتماعي مفهومه و قضاياه".

أما منهجية البحث فتقوم على استثمار معطيات علم اللغة الاجتماعي والوظيفية وسياق الحال في قراءة عمل ابن جنّي في الخصائص قراءة جديدة تكشف عن مظاهر تنبهه إلى العلاقة المتبادلة بين وقائع الكلام في ذواتها وما يكتنفها من أحوال موقف الخطاب وسياقه الخارجي.

هذا وقد خلص البحث إلى نتائج منها :-

١ - إن ابن جنّي كان يدرك تماماً ذاك التلاحم بين اللغة والمجتمع منذ اللحظة التي عرّف فيها اللغة بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.

٢ - كان ابن جنّي يرى أن للغة قطبين، يتصل أحدهما ببنائها الداخلي. ويتصل ثانيهما بعالمها الخارجي، والتواصل قائم مستمر بينهما.

٣ - قام تحليله اللغوي على المنهجين معاً " منهج التحليل اللغوي الداخلي الذي يتناوله بنية اللغة فيحلل ويفسّر المتغيرات اللغوية معتمداً على ظواهر وقواعد لغوية محضة، سواء أكان ذلك في الأصوات أم في الأبنية أم في التراكيب إلى غير ذلك.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم منهج التحليل اللغوي الخارجي الذي ميز ابن جني فيه عدة عوامل تؤثر في اللغة كالمعنى والتشكيل الاجتماعي والتفاوت الفردي بين المتكلمين.

٤ – تنبه ابن جني إلى عناصر الموقف الكلامي أو الحدث اللغوي، من متكلم ومخاطب ثم بقية الاشياء المشتركة والمتعلقة في البيئة الخارجية للموقف الكلامي.

٥ – أيقن ابن جني أن هذه العناصر متغيرة في حد ذاتها، وكل تغيير أو تبديل يطرأ على شخصية المتكلم والمخاطب سواء تعلق بغرض كل منهما أو ذاكرته أو نفسيته أو نيته أو شرعه وعاداته وثقافته إلى غير ذلك، يؤثر على الحدث اللغوي تأثيراً يؤدي إلى المواءمة بين هذه المتغيرات واللغة من حيث الأصوات والأبنية والتراكيب .... إلخ.

٦ – اعتنى ابن جني كثيراً بالسلوك غير الكلامي الذي يصاحب السلوك الكلامي، وأدرك منذ مئات السنين أن هذا السلوك غير الكلامي يشكل عنصراً أساسياً في الحدث اللغوي قد لا يستغنى عنه أحياناً. وربما يحدث إهماله التباساً ما في المعنى.

٧ – تحدث عن أدق تفصيلات السلوك غير الكلامي كالانفعال والإشارة وحركة العين ... إلخ، هذه التفصيلات التي أجريت أبحاث ودراسات عديدة عليها في عصرنا هذا أثبتت كثيراً مما تحدث به ابن جني.

٨ – ذهب ابن جني إلى أن الكلام المنطوق أكثر صدقاً في التعبير عن المعنى من الكلام المكتوب حتى لو نقل إلينا الحدث اللغوي بعناصره الداخلية والخارجية، وهو ما عبر عنه فيرث حين قال: الكلام المنطوق دائماً فيه دفء الواقع وصدق الحقيقة بخلاف المكتوب فهو جامد ساكن لاحياة فيه، ويختلف الناس في ترجمته بالنطق.

٩ – كان منهج ابن جني في تحليله اللغوي منهجاً متكاملاً حيث قسم عنايته بين عالمي اللغة الداخلي والخارجي معطياً كلاً منهما حقه في التحليل، ودوره في التأثير.

وبعد أن نقول إن ابن جني كان السابق إلى تمييز هذا الجانب الاجتماعي للغة، والمبادرة للحديث عنه وعن قضاياه. وان لم يكن السابق إلى مسمياته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيد
ابن جنّي

اسمه ونسبه:-

(هو عثمان بن جنّي أبو الفتح النحوي، كانت ولادته قبل الثلاثين والثلاثمائة بالموصل)[١] .

(وكان أبوه مملوكا روميا لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي)[٢].

ولا يعرف من نسبه من وراء هذا، وذلك أنه غير عربي، فهو ينتسب أزدياً بالولاء[٣].

(وجنّي علَم رومي، ويذكرون أنه معرب كنّي، ويقول ابن ماكولا في كتابه المؤتلف والمختلف: «وحكى لي إسماعيل بن المؤمل أن أبا الفتح كان يذكر أن أباه كان فاضلاً بالرومية» وظاهر أن ابن جنّي يريد تفسير اسم أبيه جنّي بالرومية ، وأن معناه في العربية فاضل ، وجنّي تكتب بالحروف اللاتينية ممثلة للفظ اليوناني ***(gennaius)***ومعناه: كريم، نبيل، جيد التفكير، عبقري، مخلص، ومن هذا يبدو صدق تفسير ابن جنّي لاسم أبيه) [٤] .

(وجنّي بكسر الجيم وتشديد النون وبعدها ياء) [٥] كانت وفاته في (ليلة الجمعة من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة)[٦]

---

(١) ابن خلكان، وفيات الاعيان، المجلد الثالث، ص ٢٤٨، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الادباء المجلد السابع، ج ١٣، ص ٨١ .

(٣) ابن جنّي ، الخصائص ، ج ١ ، ص ٥ مقدمة المحقق، تحقيق محمد على النجار ط (٢) دار الهدى ، بيروت.

(٤) ابن جنّي، المصدر نفسه ،ج١ ، ص ٨ . مقدمة المحقق.

(٥) ابن خلكان، وفيات الاعيان المجلد الثالث ، ص ٢٤٨ .

(٦) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٢٨ . دار المعرفة ، بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مكانة ابن جنّي : -

بلغ ابن جنّي في علوم العربية من الجلالة والخطر مالم يبلغه إلا القليل، وثناء العلماء عليه، واعترافهم بمكانته العلمية واقرارهم بحذقه في بعض العلوم كالنحو والتصريف كثير كثير، فها هوالباخرزي يقول:(ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات ، وشرح المشكلات ، ما له، ولا سيما في علم الإعراب، فقد وقع عليها من ثمرة الغراب)[١] .

وهذا الثعالبي يشهد بأنه (القطب في لسان العرب)[٢] ، وابن الأنباري يرى أنه (من حذاق أهل الأدب وأعلمهم بعلم النحو والتصريف) [٣] .

أما ياقوت فيقول فيه :

(من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بعلم النحو والتصريف، وصنف في ذلك كتبا أبرّ بها على المتقدمين، وأعجز المتأخرين ، ولم يكن في شيء من علوم أكمل منه في التصريف ، ولم يتكلم أحد في التصريف أدق كلاماً منه) [٤].

وإلى جانب علم النحو والتصريف ،فإن له باعا طويلا في غيرها من الدراسات اللغوية العربية، فقد برع في علم اللغة ، فتفوق على سابقيه ومعاصريه حين فتح في العربية أبواباً لم يسبق إليها فهذه نظرية أصول الاشتقاق يقول فيها :(هذا موضع لم يسمّه أحد من أصحابنا ؛ غير أن أبا علي - رحمه الله - كان يستعين به ، ويخلد إليه، مع إعواز الاشتقاق الأصغر ، لكنه مع هذا لم يسّمه . .وإنما هذا التلقيب لنا نحن)

---

(١) الباخرزي ، دمية القصر ، القسم الرابع ج ٢ ، ص ٤٨٦ . تحقيق سامي مكي العاني ، بغداد ١٩٧١ .

(٢) الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج ١ ،ص ١٠٨ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط (١) ١٩٤٧ .

(٣) ابن الانباري، نزهة الألباء ، ص ٢٤٤ تحقيق ابراهيم السامرائي مكتبة المنار ط (٣) الاردن ١٩٨٥ .

(٤) ياقوت، معجم الأدباء، المجلد السابع . ج ١٣ ، ص ٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعني به تلقيب الاشتقاق الأكبر والأشتقاق الأصغر ، وفيه يقول :(وذلك أن الاشتقاق عندي على ضربين : كبير وصغير ، فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم ؛ كان تأخذ أصلاً من الأصول فتتقرّاه ، فتجمع بين معانيه ، وإن اختلفت صيغه ، ومبانيه ،نحو سلم ويسلم وسالم ، ومسلمان ، وسلمى والسلامة ، والسليم . . . وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية ، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا . تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه ، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رُدّ بلطف الصنعة والتأويل إليه)[1]. ومن أمثلته على الاشتقاق الأكبر قوله:(ومن ذلك تراكيب « ق س و » « ق وس » « وق س » « و س ق » « س و ق » وأُهمل « س ق و » وجميع ذلك إلى القوة والاجتماع منها « القسوة » وهي شدة القلب واجتماعه . . . الخ) [2] .

وكثيرا ما يشير ابن جنّي في تقليباته هذه إلى التركيب الذي أهمل منها ،مما يدلنا على سعة درايته باللغة .

وهناك رؤيته السابق إليها في مناسبة الألفاظ للمعاني ، ونجد في الخصائص (بابا في تعاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) ويقول فيه : (هذا غَوْر من العربية لا ينتصف منه ولا يكاد يحاط به ، وأكثر كلام العرب عليه . وإن كان غفلاً مسهواً عنه وهو على أضرب : منها اقتراب الأصلين الثلاثيين ؛ كضيّاط وضيطار[3]، ومنها اقتراب الأصلين، ثلاثياً أحدهما ، ورباعيا صاحبه أو رباعيا أحدهما، وخماسياً صاحبه ؛ كدَمِث ودِمثْر

---

(١) ابن جنّي ، الخصائص ، ج ٢ ، ص ١٣٣ .

(٢) ابن جنّي ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٣٦ .

(٣) ضيّاط : المتمايل في مشيته ، الضخم، لسان العرب مادة (ضيط).

ضيطار : الضخم اللئيم ، لسان العرب مادة(ضطر).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

. . . . والضبغطى والضبغطرى[١].

ومنها التقديم والتأخير في تقليب الأصول نحو « ك ل م » و « ك م ل » و « م ك ل» ونحو ذلك وهذا كله والحروف واحدة غير متجاورة .

ولكن من وراء هذا ضرب غيره ، وهو أن تتقارب الحروف لتقارب المعاني ، وهذا باب واسع من ذلك قول الله سبحانه: ﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً ﴾ [٢] أي تزعجهم وتقلقهم ، فهذا في معنى تهزّهم هزّاً والهمزة أخت الهاء ، فتقارَب اللفظان لتقارب المعنيين ، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء ، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزّ، لأنك قد تهزّ ما لا بال له ؛ كالجذع وساق الشجرة ، ونحو ذلك) [٣].

ومما نألفه عند العلماء أن العالم تتراءى له الخطوط العامة للمسألة التي يسبق إليها ويكشف عنها ، ثم قد يأتي بعده من يعدّل فيها ، أو يفصّل جزئياتها أو يزيد عليها أو ينقص منها ، أما ابن جنّي ذاك الفذ ، فعلى غير هذا نجده ، ففي مسألة تعاقب الألفاظ لتعاقب المعاني المبينة سابقاً ، رأيناه قد أدرك الخطوط العريضة للمسألة كما يتضح في قوله : (هذا غور من العربية لا يتصف منه ولا يكاد يحاط به، وأكثر كلام العرب عليه، وإن كان غفلاً مسهواً عنه) ، ثم هو يتنبه إلى أنه على أضرب ، ضرب تكون حروفه غير متجاورة ، وضرب ثانٍ تتقارب فيه الحروف لتقارب المعاني ، ويمعن النظر ، فإذا به يفصل في صور هذين الضربين ، ويأتي بالأمثلة المتنوعة الوفيرة على كل ضرب وعلى كل صورة .

---

(١) الضبغطى: كلمة يفزع بها الصبيان، الأحمق، لسان العرب مادة (ضبغط).

الضبغطرى : كلمة يفزع بها الصبيان ، الشديد الأحمق، لسان العرب مادة (ضبغطر)

(٢) آية ٨٣ سورة مريم.

(٣) ابن جنّي ، الخصائص ، ج ٢ ، ص ١٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالضرب الأول له صورته الأولى التي يقترب فيها الأصلان الثلاثيان ، وصورته الثانية : اقتراب الأصلين ، ثلاثياً أحدهما ورباعياً صاحبه ، وصورته الثالثة : اقتراب الأصلين ، رباعياً أحدهما وخماسياً صاحبه ، وصورته الرابعة : التقديم والتأخير في تقليب الأصول كما سبق في المثال ، والضرب الثاني له صوره كذلك ؛ فالصورة الأولى ان تقع المضارعة في حرف واحد نحو (العسف ، الأسف) ، فالعين أخت الهمزة ، أو كالمثال السابق ذكره (تؤزهم ، تهزهم) فالهمزة أخت الهاء .

والصورة الثانية أن (تقع المضارعة في الأصل الواحد بالحرفين نحو قولهم :السحيل والصهيل . . . وذاك من « س ح ل » وهذا من « ص هـ ل » .والصاد أخت السين كما أن الهاء أخت الحاء) [١] .

والصورة الثالثة تظهر في قوله : (وتجاوزوا ذلك إلى أن ضارعوا بالأصول الثلاثة : الفاء والعين واللام ، فقالوا : عصر الشيء ، وقالوا أزله ، إذا حبسه ، والعصر ضرب من الحبس ، وذاك من « ع ص ر » وهذا من« أ ز ل » والعين أخت الهمزة ، والصاد أخت الزاي ، والراء أخت اللام) [٢] .

هذه هي عقلية ابن جنّي التحليلية التفكيكية ، ونظرته الجامعة الشاملة ، التي فتحت في علوم العربية أبواباً لم يسبقه إليه أحد .واكتشفت نظريات لغوية ما زالت - وبعد مئات السنين - إلى يومنا هذا تعد حجر الأساس في كثير من الدراسات اللغوية الحديثة .

وقد (كان ابن جنّي واسع الرواية والدراية في اللغة ،ونرى قدرا صالحاً من اللغة مرجعه هذا الإمام) [٣]. حتى أنه (يعد مصدراًمهما من مصادر أصحاب المعجمات الذين جاؤوا بعده . . . إذ إن الدارس لمعاجمنا العربية القديمة يلحظ أن اسم ابن جنّي

(١) ابن جنّي ، الخصائص، ج٢ ، ص ١٤٩ .

(٢) ابن جنّي المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٥٠ .

(٣) ابن جنّي .المصدر نفسه، ج ١ص ٣٣ مقدمة المحقق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتكرر فيها كثيراً ، كما يلحظ أن المعجميين العرب قد تلقوا آراءه بالاحترام والقبول) [١].

ومنهم ابن منظور فقد اعتمد عليه في لسانه اعتماداً ملحوظاً حيث يتكرر اسم ابن جنّي في لسان العرب ما يقرب من « ٧٣٧ »[٢] .

واشتهر ابن جنّي ببلاغة العبارة وحسن تصريف الكلام ، والإبانة عن المعنى بأحسن وجوه الأداء ، وهو يسمو في عبارته ، ويبلغ بها ذروة الفصاحة ، في المسائل العلمية الجافة البعيدة عن الخيال ووجوه التطرية) [٣].

ويتضح من بعض أبيات شعرية لابن جنّي أنه أحس بالمكانة المميزة التي وصل إليها بعلمه ومؤلفاته ، التي وصلت الخمسين مؤلفاً أو كادت ، ومن هذه الأبيات قوله :

شكرت الله نعـــمـــتـه ... ومـــــــا أولاه من أدب

زكت عـنـدي ضـنـائـعـة ... فـوفـقني وأحـسن بـي

تخـــولني وخـــولـني ... ونـولـنـي ونـوه بـــي

وأخـــر من يقـــادمني ... وأعـــلاني وأرغم بـي[٤]

ويقول في الحديث عن كتبه أو مؤلفاته وقد تنبأ لها أن تنال الحظوة عند أصحاب العلم :

تناقلهـــا الرواة لهـــا ... على الأجـفـان من حَـدَب

فـيرتع في أزاهرهـــــا ... ملوك العـــجم والعـــرب

فـــمن مُـــغنٍ إلى مُـــدن ... إلى مُـــشن إلى طـرب [٥]

وقد كان له ما تنبأ به وما تمناه فعلا ، ولعل عدوى المفاخرة والتباهي هذه قد سرت إليه من صاحبه أبي الطيب المتنبي .

---

(١) محمود جفال، شذرات معجمية في كتاب الخصائص ، ص ١٨٢ ، مجلة أبحاث اليرموك، العدد الاول / المجلد التاسع، ١٩٩١ .

(٢) خليل عمايرة، فهارس لسان العرب : ج ١ ص ١٦٣ ، مؤسسة الرسالة ١٩٨٧ .

(٣) ابن جنّي ،الخصائص ، ج ١ ص ٢٧ ، مقدمة المحقق .

(٤) ياقوت، معجم الادباء ، ج ١٣ ، ص ٩٨ .

(٥) ياقوت ،المصدر نفسه ، ج ١٣ ، ص ١٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مذهب ابن جنّي النحوي : -

لم تكن وقفة الدارسين عند مذهب ابن جنّي النحوي قصيرة ، بل لقد أثمرت هذه الدراسات آراء عديدة متنوعة ، نتج عنها أربع رؤى تذهب أولاها إلى بصريته ، وترى ثانيتها تأسيسه مذهباً مستقلا وثالثة تضمه إلى مجموعة علماء العراق وفارس ، ورابعة تجزم ببغداديته .

ولعل الأمر في اختلاف هذه الرؤى وتنوعها مرده إلى شخصية ابن جنّي المتميزة عمن سواه من اللغويين العرب في عصره ، والمتفردة بعقليتها ومنهجيتها في التفكير والتحليل. ونظرتها النافذة من عمق إلى عمق في القضية التي يسبر غورها . لتصل بعد ذلك إلى القول الفصل ، غير آبهة بموافقة البصريين أو مخالفة الكوفيين ، وإنما وليها الحق حيث كان .

وأمر ثان قد يكون وراء هذا الاختلاف والتعدد هو اختلاف المقياس في درجة انتماء النحوي أو عدم انتمائه إلى مذهب ما ، فما درجة الاتفاق التي ينبغي أن تكون قائمة بين النحوي والمذهب البصري - مثلاً - حتى نحكم بأن فلاناً النحوي بصري ؟ . وما درجة الاختلاف التي ينبغي أن تكون قائمة بين النحوي والمذهب الكوفي - مثلا -حتى نحكم بأن فلاناً ليس كوفياً ؟ وما درجة الاتفاق والاختلاف المطلوبة مع البصريين والكوفيين كي نقول : هذا النحوي بغدادي المذهب ؟ .

بالتاكيد ، ليست القضية درجة حرارة نود قياسها ، أو كمية نرغب في وزنها ، بل الأمر أكثر تعقيداً ، وعليه فسيبقى التقدير نسبياً بين الدارسين والباحثين .ومن هنا تنبع الآراء المتعددة والأحكام المختلفة. أمّا عن أولئك الذين يذهبون إلى أن ابن جنّي بصري المذهب فيطالعنا أولهم في مقدمة تحقيق الخصائص وهو محمد علي النجار حين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول: (وكان ابن جنّي كشيخه أبي علي -بصرياً . فهو يجري في كتبه ومباحثه على أصول هذا المذهب ، وهو ينافح عنه ويذبّ)[١] . ولسنا معه في إطلاقه العبارة « ينافح عنه ويذب» لأن ابن جنّي أحيانا كان يخالف البصريين ، فلا يدافع عن رأيهم ، بل قد يقف إلى جانب الكوفيين ويدافع عن رأيهم الذي يرتضيه ، فالمسألة عنده مرهونة بما يراه هو سديداً مقنعاً ، وليس مجرد أن يكون هذا الرأي بصرياً يسلّم بصحته وبقبوله ، على أن محمد النجار كان قد ركن إلى تعبير ابن جنّي عن البصريين (بأصحابنا) أحياناً ، ثم يستأنف محمد النجار قوله : (على أن الرجل كان منهوماً بالعلم يأخذه عن أهله ، بصرياً كان أو غيره) [٢] .

وفي مقدمة التحقيق في « سر صناعة الإعراب » جاء عن المحققين ما نصه : (وكانا على مذهب واحد في النحو ، المذهب البصري) - أي أبو علي الفارسي وابن جنّي - وجاء ايضاً وكانا لا يأبيان أن يأخذا عن غير البصريين من الكوفيين والبغداديين وغيرهم) [٣] .

وكذا فاضل السامرائي يقول : (إنه بصري المذهب حسب لا بغدادي ولا كوفي ، إلا إذا قلنا : إن المذهب البغدادي هو المذهب البصري بمصطلحاته وأسسه ومسائله ، ومع ذلك فالنصوص لا تسعفنا إذ هو لم يعد نفسه من البغداديين ، ولا من الكوفيين ، بل جعل نفسه بمعزل عنهم ، وارتضى لنفسه أن يكون من البصريين) [٤]. ولا يسلم بقول فاضل السامرائي : (إنه جعل نفسه بمعزل عنهم) ، إذ ليس هناك في حياة ابن جنّي ما يشير صراحة إلى أنه يريد أن ينتسب إلى هؤلاء ، أو ينعزل عن أولئك ، فالأمر لم يكن محط اهتمامه .

---

(١) ابن جنّي الخصائص . ج ١ ، ص ٤٤ ، مقدمة المحقق.

(٢) ابن جنّي ، المصدر نفسه ج ١ ، ٤٥ مقدمة المحقق.

(٣) ابن جنّي ، سر صناعة الأعراب، ج ١ ص ٣٤ .

(٤) فاضل السامرائي ، ابن جنّي النحوي . ص ٢٩٠ . بغداد ١٩٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وممن يذهب إلى بصرية ابن جنّي عبده الراجحي الذي يقول : (ثم إن الرجل كان أميل إلى مدرسة البصرة ، وإن يكن قد ذهب مذهب الكوفيين في غير موضع)[١] .

وهذا عبد الحميد الشلقاني يقو ل: (إن الناظر في كتب أبي الفتح لا شك واجد أنه يعد نفسه من البصريين ، لا من البغداديين ولا من الكوفيين)[٢] ٤٨٠٥٥٧

ومن أصحاب الرؤية الثانية التي ترى استقلال ابن جنّي بمذهبه محمد أسعد أطلس حين يقول : (على الرغم من انتسابه إلى المدرسة البصرية لم يكن مقلداً غيره من أئمة البصرة، أو الكوفة، أو بغداد. فإنه كان صاحب مذهب مستقل انفرد به وكان يعمل فكره في المسألة ويناقشها بعقله الواسع وتفكيره الصحيح) [٣] .

وربما نستطيع أن نضيف هنا رأى أحمد أمين الذي رأى أن ابن جنّي وأستاذه أبا علي قد استقلا بمذهبهما - ومن ذلك قوله :(ويُعدّ هو وتلميذه ابن جنّي مؤسسي مدرسة في النحو والصرف تستخدم القياس إلى أقصى حد) [٤] .

وأما من رأى أنه خلط بين المذهبين البصري والكوفي فلعل أولهم ابن النديم .فقد ترجم له ضمن مجموعة من العلماء وضعها تحت عنوان : « أسماء وأخبار جماعة من علماء النحويين واللغويين ممن خلطوا بين المذهبين » [٥]، والقول بالخلط بين المذهبين يحمل على أن المقصود المذهب البغدادي عند المؤلفين المعاصرين .

وممن أكدّ بغدادية ابن جنّي شوقي ضيف حين يقول : (ويردد ابن جنّي في الخصائص وغيره حديثه عن البصريين باسم أصحابنا . . . وكثيراً ما يضعهم مقابل

(١) عبده الراجحي، فقه اللغه في الكتب العربيه ، ص ٥٢ . دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٢ .

(٢) عبد الرحمن الشلقاني، رواية اللغة ، ص ٢٦٨ ، ٢٩٠ ،دار المعارف، مصر.

(٣) مجلة المجمع العلمي ، المجلد الثالث ، ج ٤ ، ص ٦١٥ دمشق.

(٤) احمد امين ، ظهر الاسلام ، ج ١ ص ١٨٥ . مطبعة لجنة التاليف والترجمة القاهرة ١٩٤٥ .

(٥) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١١٥ . دار المعرفة ،بيروت بدون تاريخ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البغداديين ، وكأنما ينزع نفسه منهم نزعاً . . . ويريد بالبغداديين أوائلهم ممن كانوا ينزعون إلى الكوفة مثل ابن كيسان ، وهم حقاً من ذوق غير ذوقه ومن هوى غير هواه . فهو بغدادي من طراز آخر . . . طراز كان ينزع إلى البصريين)[١] .

وهذا ما يراه محمود حسني في مذهب ابن جنّي حيث يقول : (إنه لم يلتزم بمذهب من المذاهب وإنما كان بغدادياً يبحث عن الصواب أينما كان فيتمسك به) [٢] .

وبعد، فقد بدالنا أن ابن جنّي نفسه لم تكن هذ ه القضية تشغل له بالاً ، إلى من ينتسب ؟ وعن من ينعزل ؟. لم يكن في حسابه حين يلوح له الصواب هل خالف البصريين أم وافق الكوفيين وإنما حرصه دائماً أن يكون مع الحقّ مع أي كان ، فالحقّ مُسدد نظرته ، وموجه رأيه ، وهو يصرح بهذا في معرض تأييده لرأي من آراء الكوفيين والبغداديين ، ورفضه لرأي البصريين . إذ يقول : (ولا قرابة بيني وبين البصريين ولكنها بيني وبين الحقّ ، والحمد لله)[٣] . وفي موضع آخر يقول : (ورأيت محمد ابن درستويه قد أنحى على أحمد بن يحيى في هذا الموضع من كتابه الموسوم بشرح الفصيح ، وظلمه ، وغصب حقه ، والأمر عندي بخلاف ما ذهب إليه ابن درستويه في كثير مما ألزمه إياه ، وما كنت أراه بهذه المنزلة ، ولقد كنت أعتقد فيه الترفع عنها . فإن كان من أصحابي وقائلاً بقول مشيخة البصريين في غالب أمره ، وكان أحمد بن يحيى) كوفياً قلباً ، فالحقّ أحقّ أن يتبع أين حلّ وصقع) [٤].

لقد كان المؤلفون ينسبون النحوي إلى المدرسة البغدادية إذا رأوا أنه خلط بين المذهبين البصري والكوفي ، ولكن ماذا عمن كان يتفرد بآرائه ويستقل بنظراته ونتائجه ،

---

(١) شوقي ضيف، المدارس النحوية ، ص ٢٦٨ ، دار المعارف ط (٥) .

(٢) محمود حسني ، المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي ، ص ٣٩١ . مؤسسة الرسالة ط (١) ١٩٨٦ .

(٣) ابن جنّي ، المحتسب، ج ١ ص ١٦٧ الكتاب التاسع ، ص ١٦٧ ، تحقيق على النجدي ناصيف وآخرون ، لجنة احياء التراث، القاهرة ١٣٨٦ هـ .

(٤) ابن جنّي ، سر صناعة الاعراب. ج ٢، ص٥٦٨، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم دمشق (ط) (١)، ١٩٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيخالف هؤلاء وأولئك ؟ فإلى من ننسبه ؟ .

قد خلط ابن جنّي بين المذهبين نتيجة إيثاره اختيارات مامن المذهبين أملاها عليه عقله وتفكيره ، نعم أخذ عن البصريين وخالفهم احياناً ، وخالف الكوفيين وأخذ عنهم احيانا أخرى ، ومال إلى آراء أستاذه أبي علي وخالفه غير مرة ايضاً [١] .ونلفيه يخالف ما أجمع عليه النحويون في أمر ما ويتفرد برأي لم يرد عن أحد سواه . يقول شوقي ضيف : (ولابن جنّي آراء اجتهادية مختلفة انفرد بها عن أستاذه والمدرستين البصرية والكوفية ، فمن ذلك أنه كان يجيز تقديم المفعول معه على المعمول قبله ، فيقال جاء وثيابَ الصوف البرْدُ) ،وكان يذهب إلى أن العامل في الخبر هو الابتداء والمبتدأ معاً . . . . وكان الجمهور يذهب إلى أن « لا» العاملة عمل ليس لا تعمل إلا في النكرات ، وذهب إلى أنها تعمل ايضاً في المعارف ، . . .) [٢].

وسواء أكان ابن جنّي بصرياً أم بغدادياً ، فلن يغير ذلك في جوهر الحقيقة شيئاً ، فسيبقى ابن جنّي هو الإمام اللغوي بثروة علمه ومؤلفاته.

وإن كان لا بد للبحث أن يدلي برأي بشأن مذهبه النحوي ، أقول : كان ابنُ جنّي ابنَ جني المذهب ، وهذا الرأي يتفق وأصحاب الرؤية الثانية التي تقدم ذكرها ورأت أنه : (لم يكن مقلداً غيره من أئمة البصرة ، أو الكوفة ، أو بغداد . فإنه كان صاحب مذهب مستقل انفرد به وكان يعمل فكره في المسألة ويناقشها بعقله الواسع وتفكيره الصحيح)[٣] .

---

(١) أنظر شوقي ضيف ، المدارس النحوية من ص ٢٦٨ - ص ٢٧٣ .

(٢) شوقي ضيف المرجع نفسه ، ص ٢٧٣ .

(٣) مجلة المجمع العلمي . المجلد الثالث ج ٤ ص ٦١٥ دمشق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتاب الخصائص

يعد كتاب الخصائص من أشهر ما صنف في علم العربية ، وأذهبه في القياس والنظر، وأجمعه للأدلة ، وأوفره للمادة اللغوية ، مال فيه مؤلفه إلى التفرد بمنهجه في دراسة أصول اللغة والتصريف والنحو على مذهب أصول الكلام والفقه ، يقول ابن جنّي في هذا : (ذلك أنّا لم نرَ أحداً من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه) [١].

وأما بشأن عنونة ابن جنّي لكتابه بـ « الخصائص » فلعل الأمر في هذا يعود إلى أنه تناول فيه القوانين العامة التي تنتظم اللغة دون أن يكون المقصود دراسة جزيئات اللغة تفصيلياً على ما نعرف في أبواب الصرف والنحو [٢] .

وجوانب الكتاب عديدة متنوعة لعل من أبرزها :

١- جوانب تتضمن قضايا عامة في حياة اللغة وتطورها من نحو تعريف اللغة ونشأتها وتفرعها إلى لهجات وتطورها . . . . الخ .

٢- جوانب تتضمن منهج البحث في اللغة من مثل حُجّية اللغة وطريقة جمعها وتصنيفها ووضع تعريف لها وتعليل الظواهر اللغوية . . . الخ .

٣- جوانب تشمل مستويات الدراسة اللغوية من صوتية وصرفية ونحوية ودلالية ، وإذا كان ابن جنّي لا يقدم ربطاً واضحاً بين هذه المستويات ، فإن معظم ما وصل إليه مقررات تتسق مع ما استقر عليه علم اللغة في العصر الحديث [٣]

وهوكتاب يجد فيه مختلف العلماء من متكلمين وفقهاء ونحاة وكتاب ومتأدبين ومتفلسفين ما يهمهم ويعنيهم ، يتساهمون التأمل فيه والبحث عن مستودعه .

---

(١) ابن جنّي ، الخصائص ، ج ١ ، ص ١ .

(٢) انظر عبده الراجحي ، فقه اللغة في الكتب العربية ص ٥١ .

(٣) عبده الراجحي ، المرجع نفسه ص ٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حقاً لقد كان الخصائص من أوفى الكتب التي تناولت دراسة اللغة وعرضت خصائص العربية ، لم يقف فيه ابن جنّي عند حد النقل والوصف ، بل راح يعرض الظواهر ويناقشها ويعللها بكل ما أوتي من دقة في الملاحظة ، وعمق في النظرة ، وبراعه في التحليل مستثمراً موروثه من علم النحو وعلم الكلام ، وعلم أصول الفقه في كل ما قدم لنا في كتابه هذا .

والمتتبع لعناوينه في الخصائص يجد أنها تنبئنا بمنهجه المتأثر بمذهب أصول الكلام والفقه ، ومنها عنوانه : ذكر علل العربية أكلامية هي أم فقهية [١] .وباب في الاستحسان [٢] ، وباب في ذكر الفرق بين العلة الموجبة وبين العلة المجوّزة [٣] . وباب في تعارض العلل [٤] . . . الخ .

هذا ويذكر ابن جنّي كتابين يقارنهما بكتابه قائلاً في الأول : (فاما كتاب أصول أبي بكر * فلم يلمم فيه بما نحن عليه ، إلا حرفاً أو حرفين في أوله ، وقد تُعلّق عليه به ، وسنقول في معناه) [٥] .

وفي الكتاب الثاني يقول: (على أن أبا الحسن قد كان صنف في شيء من المقاييس كتيباً،إذا أنت قرنته بكتابنا هذا علمت بذاك أنا قد نُبنا عنه فيه، وكفيناه كلفة التعب به)[٦] .

لقد حاول ابن جنّي أن يؤسس في الخصائص علماً في أصول اللغة والتصريف والنحو، ولعل الذي دفعه إلى محاولة تأصيل هذه العلوم الثلاثة ،هو تعظيمه لهذه اللغة

(١) ابن جنّي ، الخصائص ج ١ ص ٤٨ .

(٢) ابن جنّي ،المصدر نفسه ج ١ ،ص ١٣٣ .

(٣) ابن جنّي ، المصدر نفسه ج ١ ، ص ١٦٤ .

(٤) ابن جنّي ، المصدر نفسه ج ١ ، ص ١٦٦ .

* هو ابن السراج محمد بن السرىّ (ت ٣١٦ هـ).

(٥) ابن جنّي ، الخصائص ، ج ١ ، ص ٢ .

(٦) ابن جنّي ، الخصائص ، ج ١ ص ٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإجلالها فهو لا يجد فرصة تلوح ، إلا ويدافع عنها ، بل ويفاخر العجم بها ، مفضلاً إياها على لغتهم .[١]

وفيه يقول : (لو احسّت العجم بلطف صناعة العرب في هذه اللغة ، وما فيها من الغموض والرقة والدقة لاعتذرت من اعترافها بلغتها ، فضلاً عن التقديم لها والتنويه منها)[٢] .

(١) محمود حسني ، المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي ، ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٢) ابن جنّي ، الخصائص ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من علم اللغة العام إلى علم اللغة الاجتماعي

المدارس اللغوية :-

شهد القرن العشرون ولادة مدارس عديدة في علم اللغة، من أعلامها البنائية، والوظيفية، والتوليدية، والاجتماعية ، وقد تميزت المرحلة المبكرة من الفكر اللغوي في هذا القرن بالاتجاه التاريخي ، ففي عام ١٩٢٢م كتب اللغوي الدنماركي جسبرسن مستهلاً أحد كتبه العامة في اللغة،الجملة الآتية : «السمة المميزة لعلم اللغة كما نتصوره في هذه الأيام هي خاصته التاريخية » وكتب هيرمان باول في كتابه « أسس تاريخ اللغة » ، الذي نشر لأول مرة في عام ١٨٨٠ ،يقول : « بقدر ما يذهب المرء وراء الحكم المجرد للحقائق القائمة بذاتها ، وبقدر ما يحاول أن يمسك بالعلاقات الداخلية ليفهم الظواهر ، يدخل المرء مجال التاريخ رغم أنه قد لا يكون واعيا بذلك » ، ومؤدى هذه العبارة أن علم اللغة - بقدر ما يكون في الواقع أو بقدر ما يطمع أن يكون متصفاً بالعلمية - تاريخي السمات بالضرورة ، ويأخذ التاريخي - على الأخص - بوجهة النظر التي تذهب إلى أن النوع الوحيد المشروع للتفسير في علم اللغة هو ذلك النوع من التفسير الذي يمكن أن يقدمه مؤرخ .

وقد كان نشر كتاب جسبرسن السابق الذكر والطبعة الخامسة من كتاب باول بعد نشر كتاب دي سوسير « محاضرات في علم اللغة العام » سنوات عديدة ،وكان هذا الكتاب قد نشر بعد وفاة صاحبه ، وافتتح الاتجاه المعروف الآن باسم البنائية ، وكان نشرهما ايضاً قبيل سنوات من تأسيس مدرسة براغ اللغوية التي توحدت فيها البنائية مع الوظيفية ، ونشأت في كنفها بعض أفكار الاتجاه التوليدي الحديث [١] .

---

(١) انظر جون ليونز، اللغة وعلم اللغة، ج ٢ ، ص ٥٢ ،٥٣ ، ٥٤ ترجمة وتعليق مصطفى التوني، دار النهضة العربية ١٩٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البنـائيّـة :-

من المتعارف عليه أن يؤرخ لمولد البنائية كاتجاه يمكن تمييزه في علم اللغة بنشر كتاب دي سوسير « محاضرات في علم اللغة العام » عام ١٩١٦ .

وفي مواجهة الرأي الذي يذهب إلى أن علم اللغة بقدر ما هوعلمي تفسيري يجب أن يكون تاريخياً ، أثبت دي سوسير أن الوصف التزامني للغات يمكن أن يكون بالقدر نفسه علمياً ، ويمكن أن يكون تفسيرياً ، ويختلف التفسير التزامني عن التفسير التاريخي في كونه بنيوياً اكثر منه علمياً ، أي أنه يقدم نوعاً مختلفاً من الإجابة على السؤال « لماذا تكون الأشياء على ما هي عليه؟» .

فبدلاً من أن يرسم صورة للتطور التاريخي لصيغ أو معانٍ معينة ، يظهر كيف أن كل الصيغ والمعاني على علا قة متبادلة في نقطة زمنية محددة في نظام لغوي معين .

ومن الملامح المميزة للبنائية الدي سوسيرية التأكيد على أن « الموضوع الوحيد الصحيح في علم اللغة هو النظام اللغوي يبحث في ذاته ولذاته » ، إذ من المعتاد في العرف الدي سوسيري أن النظام اللغوي بنية يمكن أن تكون مجردة ليس من القوة التاريخية التي أخرجته إلى الوجود فحسب ، بل ايضاً من القوالب الاجتماعية التي تعمل في إطارها ، ومن العملية السيكولوجية التي تكتسب بها والتي تجعلها متاحة للاستعما ل في السلوك اللغوي ، ومثل هذا التفسير -شعار السوسيرية - يستخدم عادة ليثبت مبدأ استقلال علم اللغة .[١] بمعنى (أنها دعت إلى دراسة العناصر والعلاقات اللغوية بمعزل عن أية معطيات أو تاثيرات خارجة عنها)[٢] .

---

(١) انظر جون ليونز، اللغة وعلم اللغة ج ٢ ص ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٨ .

(٢) مصطفى لطفي، اللغة العربية في إطارها الاجتماعي ص ٢٢ . معهد الانماء العربي، ط (١) بيروت ١٩٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوظيفيّة :-

المصطلحان : « الوظيفية » و « البنائية » يستخدمان عادة في الأنثروبولوجيا « علم الأجناس البشرية » والسوسيولوجيا « علم الاجتماع » للإشارة إلى نظريتين أو طريقتين متضادتين في التحليل ، ومع ذلك فإن أفضل رؤية للوظيفية في علم اللغة أنها اتجاه معين في إطار البنائية ، ويميزها الاعتقاد بأن البنية الفونولوجية « علم الأصوات اللغوية» والنحوية والدلالية للغات تحددها الوظائف التي تؤديها في المجتمعات التي تعمل فيها، وأشهر من يمثل الوظيفية - بهذا المعنى - أعضاء مدرسة براغ [١] .

ويرى أتباع المذهب الوظيفي أن بنية الأقوال يحددها الاستخدام والسياق الاتصالي اللذان تذكر فيهما الأقوال .

ويمكن القول بصفة عامة ، إن الاتجاه الوظيفي في علم اللغة يميل إلى التأكيد على الخاصية الآلية للغة ، وهناك صلة طبيعية لهذا السبب بين وجهة نظر أتباع الاتجاه الوظيفي ووجهة نظر عالم الاجتماع اللغوي أو فلاسفة اللغة في إخضاعهم السلوك اللغوي لفكرة التفاعل الاجتماعي الأكثر تقبلاً [٢] فهذا كارل بيلر عالم النفس النمساوي يطلق على مفهومه الرئيس نموذج الأرغن اللغوي مستعملاً الكلمة اليونانية « الارغانون » للآلة « ***tool*** » لفظاً اصطلاحياً للدلالة على الفكرة القائلة : إن اللغة وهي نظام من العلامات، تعمل كما الآلة التي بواسطتها يتناقل الناس الخبر عن الاشياء . . ويلحّ هذا المفهوم على أهمية «السياق » أو« الموقف» أو « المقام » عند النظر إلى موضوع الدراسة، ويصبح من مطالب هذا المنهج - لفهم وظيفة اللغة من حيث هي آلة - أن ننظر إليها في إطار عوامل رئيسية ثلاثة ينتظمها الموقف، هي : المتكلم ، والمستمع ، والأشياء (أي عناصر الموقف المحسّة

(١) انظر جون ليونز ، اللغه وعلم اللغة ج ٢ ، ص ٦٢ .

(٢) انظر جون ليونز، المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأوضاعها التي هي موضوع الكلام ، ويقوم الرمز اللغوي على التواؤم وهذه العوامل الثلاثة ، فهو يتواءم والمتكلم ويتواءم والمستمع ، ويتواءم وعناصر الموقف وأوضاع الحقيقة الخارجية ، ويقصد بالتواؤم هنا أنه إذا اختلف المتكلم اختلف الرمز اللغوي وفقاً لذلك ، وإذا اختلف المستمع اختلف الرمز ايضاً ، وإذا اختلفت عناصر الموقف وأحواله اختلف الرمز وفقاً لها ، وهذه الأضرب من التواؤم عند « بيلر » هي الوظائف الرئيسية للغة [١] ، « والوظيفية - من هذا الجانب ومن جوانب أخرى - تقابل التوليدية بصورة حاسمة »[٢] .

إذن فقد اتجهت هذه المدارس في دراساتها للغة إتجاهاً داخلياً، نعته بعض اللغويين - على ضرب من التسمح الاختصار - في الإشارة والتعبير - بعلم اللغة الداخلي ، وبالتالي فعلم اللغة الداخلي وظيفته البحث عن ذات اللغة للكشف عن أسرارها وحقائقها ، بقطع النظر عما يتصل أو يتعلق بها من عوامل خارجية ، كاتصالها بالعالم الخارجي من ثقافة أو حضارة وبغض النظر عن جوانبها النفسية أو العقلية أو الفلسفية أو البيئية أو العرقية . . . . . الخ .

وهناك من جهة أخرى فروع لغوية حديثة العهد بالوجود نسبياً انضمت إلى حظيرة الدرس اللغوي بصورة من الصور ، ولكنها جميعاً لا تبحث في ذات المادة اللغوية بقدر ما توجه اهتمامها إلى عوامل خارجية ، لها نوع من الصلة باللغة بطريق التأثير والتأثر ، أو رغبة في بيان العلاقة بين اللغة وهذه العوامل للإفادة من حقائق الجانبين حتى تكتمل الصورة لهذه اللغة وتتضح أسرارها المتشعبة التي لها علاقة أكيدة بالإنسان وبحياته وأنماط سلوكه .

ومن هذه الفروع ، علم اللغة النفسي وعلم اللغة العرقي أو السلالي ، وعلم اللغة الجغرافي ، وعلم اللغة الاجتماعي . . . . الخ .

---

(١) انظر نهاد الموسى، الأعراف أو نحو اللسانيات الاجتماعية في العربية ص ١٤٧ . مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية ١٩٨٦ .

(٢) جون ليرنز ، اللغة وعلم اللغة ، ج٢ ، ص٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه الفروع في جملتها يمكن أن تكون إطاراً معيناً من النظر اللغوي ، نطلق عليه : علم اللغة الخارجي . على أساس أن البحث هنا يتجه إلى عوامل وظروف خارجية عن ذات اللغة [١] .

المدرسة الاجتماعية الانجليزية :-

يعد فيرث مؤسس المدرسة الانجليزية الحديثة ، وهي المدرسة الشكلية التركيبية أو الطريقة التي تعنى في المقام الأول بتسجيل الحقائق اللغوية وفقاً للصور الشكلية والأنماط الحقيقية للصيغ الكلامية في التركيب ، وقد ابتعد فيرث عن المناهج والأساليب التقليدية في درس اللغة ، وابتكر منهجاً تجنب فيه الأفكار المنطقية والفلسفية وغيرهما مما لا يدخل في التفكير اللغوي الذي يعنيه [٢] .

فاللغة عنده ظاهرة اجتماعية : ولا يمكن فهمها أو تحليلها إلا على هذا الأساس . والكلام ليس ضرباً من الضوضاء يلقى في فراغ ، وإنما مدار فهم الكلام والقدرة على تحليله إنما يكون بالنظر إليه في إطار اجتماعي معين سماه بالسياق ، والسياق ذو عناصر معينة متكاملة وهي ضرورية في عملية الفهم والإفهام) . ومن هذه العناصر المكونة لسياق الحال أو الموقف الكلامي : -

أ) - شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما «الثقافي» وشخصيات من شهد الكلام غير المتكلم والسامع - إن وجدوا - وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي ، ودورهم أيقتصر على « الشهود » أم يشاركون من آن لآن بالكلام ، والنصوص الكلامية التي تصدر عنهم .

ب) - العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كحالة الجو إن كان لها دخل . وكالوضع السياسي وكمكان الكلام . . . . . الخ ، وكل ما يطرأ أثناء الكلام ممن يشهد الموقف الكلامي من

---

(١) أنظر كمال بشر ، التفكير اللغوي بين القديم والحديث ص ٢٣ ، ٢٤ . مكتبة الشباب.

(٢) أنظر محمود رضوان ، نظرات في اللغة ، ص ٤٦٤ ، ط (١) دار الحقيقة ، بنغازي ١٩٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنفعال أو أي ضرب من ضروب الإستجابة ، وكل ما يتعلق بالموقف الكلامي أياً كانت درجة تعلقه .

ج) - أثر النص الكلامي في المشتركين ، كالإقناع ، أو الألم ، أو الإغراء ، أو الضحك . . . . الخ .

وهكذا يتضح أن من أهم خصائص « سياق الحال » ابراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به «المتكلم » وسائر المشتركين في الموقف الكلامي) [١] و(هذا الإطار الاجتماعي يشبه «المقام» الذي نص علماء العربية على وجوب مراعاته لتتم بلاغة الكلام ، والفرق أن فيرث جعل « سياقة » أو « مسرحه اللغوي » أساساً لصحة الكلام ، على حين عدّ العرب هذه المراعاة أساس البلاغة ، لا مجرد الصحة اللغوية ، وفي هذا يقول الخطيب القزويني في كتابه الايضاح :(وأما بلاغة الكلام فهي : مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته . ومقتضى الحال مختلف ؛ فإن مقامات الكلام متفاوتة ؛ فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الاطلاق يباين مقام التقييد ، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ، ومقام الذكر يباين مقام الحذف . . . . وكذا خطاب الذكيّ يباين خطاب الغبيّ ، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام، وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب وانحطاطه بعدم مطابقته له، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب ، وهذا - أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال - هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم حيث يقول : [٢] النظم تأخّي ومعاني النحو فيما بين الكلم على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام) [٣].

---

(١)محمود السعران ، علم اللغة مقدمة للقارىء العربي ص ٣٣٨ . دار الفكر العربي ، القاهره .

(٢) أنظر عبد القادر الجرجاني، دلائل الاعجاز ، ص ٦٧ دار المعرفة ، لبنان ١٩٧٨ .

(٣) الخطيب القزويني ، الايضاح في علوم البلاغة ج ١ ، ص ٩ . تحقيق وتعليق لجنة من اساتذة الجامع الازهر ، مطبعة السنة المحمدية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علم اللغة الاجتماعي : *Sociolinguistics*

علم حديث العهد بالوجود نسبياً ، إذ برز على الساحة العلمية في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من هذا القرن ، ومنذ ذلك التاريخ وهو يزداد نمواً واتساعاً وتحديداً لاهتماماته ونقاط البحث فيه ، وليس معنى ما تقدم أن هذا النوع من الدرس لم يكن معروفاً من قبل ، أو أن نقاط البحث فيه لم تكن مطروقة [١] ،فعلى العكس من ذلك فهناك تراث قديم العهد في دراسة اللهجات ،وفي الدراسات التي تتناول العلاقات بين معاني الكلمات والثقافات المختلفة ، ولعل الجديد الذي جاءت به المدرسة الاجتماعية الأنجليزية هو تأكيدها الدور الذي يقوم به علم اللغة الاجتماعي في سد كثير من جوانب النقص في النظرية البنيوية ، وأنه قادر على كشف الكثير مما كان غامضاً من طبيعة اللغة وطبيعة المجتمع[٢].

و (يعرف فيشمان علم اللغة الاجتماعي بأنه : « علم يبحث التفاعل بين جانبي السلوك الإنساني : استعمال اللغة والتنظيم الاجتماعي للسلوك ويركز على الموضوعات التي ترتبط بالتنظيم الاجتماعي لسلوك اللغة ، وهذا لا يشمل استعمال اللغة فحسب ، وإنما يشمل ايضاً اتجاهات اللغة والسلوكيات الصريحة تجاه اللغة وتجاه مستعملي اللغة) [٣] أي أن علم اللغة وكما يعرفه هدسون هو : (دراسة اللغة في علاقاتها بالمجتمع)[٤].

(أمارائدالمدرسةالاجتماعيةالإنجليزية«ج . ر . فيرث»فقدأكدّضرورةدراسةاللغةضمن

---

(١) انظر كمال بشر ، التفكير اللغوى بين القديم والحديث ص ٥١ .

(٢) انظر هدسون، علم اللغة الاجتماعي ، ص ١٢ ، ترجمة محمد عبد الغني عياد .
دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ط (١) ١٩٨٧ .

(٣) صبري ابراهيم السيد ، علم اللغة الاجتماعي ، مفهومه وقضاياه ، ص ١٥ .
دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية ١٩٩٥ .

(٤) هدسون ، علم اللغة الاجتماعي ص ١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اطارها الاجتماعي الذي تستعمل فيه ، عندما تأثر بما قاله مالينوفسكي أحد علماء الأنثروبولوجيا الذي أدرك أن أية دراسة للغة والاتصال الكلامي تتطلب أساسا نظرية يظهر فيها الفعل الحاسم لكل العوامل الاجتماعية والثقافية المؤثرة فيها ، وإنطلاقاً من هذه الرؤية فقد كان يرى (أن المعضلة الحقيقية التي تواجه اللغويين تتمثل في تركيزهم الزائد على الكلمات) [١] . ويستنكر مالينوفسكي الفصل بين الكلام وسياقة عندما يتساءل قائلاً : إذا كانت الوظيفة الرئيسية للكلام هي توجيه العمل الجماعي أو إرشاد النشاط الإنساني فكيف إذن نفصل ذلك عن سياقات مختلف المواقف وما تعكسه من مغزى ودلالات [٢] .

ومن الاختلافات الرئيسية بين علم اللغة العام وعلم اللغة الاجتماعي هو أن علم اللغة العام تتناول دراسته بنية اللغة ***language structure*** ولا يعير السياقات الاجتماعية ***social context*** التي تكتسب فيها اللغة وتستخدم ، جانباً من اهتمامه ، في حين يرى علم اللغة الاجتماعي (أن دراسة الكلام دون الرجوع إلى المجتمع الذي يتحدث به هو استبعاد لاحتمالات وجود تفسيرات اجتماعية للأبنية والصيغ المستخدمة في الكلام)[٣] . وذلك أن (الرسائل المنطوقة تفصل خصيصاً حسب احتياجات المتلقين) [٤] .

ويحرص علم اللغة الاجتماعي على الإحاطة بكل شيء فإلى جانب عنايته بالوحدات الاجتماعية الكبيرة مثل القبائل والأمم والطبقات الاجتماعية فهو يعنى بالمتكلم ، واللغة التي يستعملها ، والمتكلم إليه ، وزمن التكلم وما ينتهي اليه الكلام ، بمعنى أنه يعني بالتوزيع الاجتماعي للمواد اللغوية ، وكيف أن متغيراً معيناً قد يرتبط بصياغة قاعدة نحوية معينة في

(١) محمد ابو زيد، اللغة في الثقافة والمجتمع ، ص ١٤٢، دار الكتب للطباعة والنشر ١٩٨٨ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٤٣ .

(٣) هدسون. علم اللغة الاجتماعي ص ٢٠ .

(٤) المرجع نفسه ص ٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لغة أو لهجة ما [١] .

فأهمية المتحدث الفرد في علم اللغة الاجتماعي تعادل أهمية الخلية الفردية في علم الأحياء ، فاذا ما عجز هؤلاء الدارسون عن فهم سلوك الفرد فإنهم سيفشلون في فهم سلوك الجماعات [٢]. (فمن الحقائق التي أكدتها الدراسات الحديثة أن اللغة من حيث هي تعبير مشترك بين أفراد الشعب الواحد ، هي واحدة ، ولكنها تتعدد ، لا بتعدد لهجاتها فحسب ، بل بتعدد الأفراد الناطقين بها ، فإن من المقرر أن اللغة الواحدة التي ينطقها شخصان تختلف ظواهرها، وصفاتها الصوتية والتركيبية على لسان كلٍ منهما كما تختلف بصماتهما ، اختلافاً جوهرياً ، حتى لو كانا توأماً ، بل حتى لو كان قد نالا قسطاً واحداً من الثقافة ، وعاشا ظروفاً واحدة ، فكل منهما يضيف دائماً إلى اللغة قدراً ، ولو ضئيلاً ، خاصاً به ، يدركه العالم اللغوي ، برغم ما قد يبدو من الوحدة الظاهرية بين لسانيهما .

وتزداد هذه الفروق بين مستويات اللغات الفردية كلما ازدادت الفوارق الاجتماعية ، والثقافية ، والزمانية ، والمكانية ، ولذا مضى بعض العلماء اللغويين إلى القول بأنه يوجد من اللغات بقدر ما يوجد من الأفراد) [٣] .ومنهم فندريس الذي قال : (ذلك أن اللغة . . . واحدة وعديدة في آن واحد ؛ واحدة لدى كل الشعوب ، ولكنها متعددة بتعدد جميع الأفراد الذين يتكلمونها) [٤]. ورغم ما في هذا القول من مبالغة فقد يكون مقبولاً إلى حد ما إذا علم أن لكل إنسان بصمة صوتية مميزة حسب ما توصل إليه علماء البحوث الجنائية ، وهذه البصمة الصوتية تختلف تماماً من إنسان لآخر ، فقد

(١) انظر صبري ابراهيم السيد، علم اللغة الاجتماعي ص ١٩ .

(٢) هدسون علم اللغة الاجتماعي ص ٣٤ .

(٣) عبد الصبور شاهين ، في علم اللغة العام ، ص ١٦٣ ، ط (٣) . مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٩٨٠ .

(٤) فندريس ، اللغة ص ٢٩٥ ، تعريب عبد الحميد الدواخلي ، محمد القصاص، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استطاعت أجهزة التصوير والتحليل الطبقي أن تحدد صفات كل بصمة قدمت إليها ، حتى أصبحت البصمة الصوتية أدلّ على المجرمين من بصمات الأصابع .

ولكن برغم اختلاف مستويات المتكلمين في نطاق اللغة الواحدة ، وبرغم تباعد هذا المستوى بتباعد المكان والزمان ، وبرغم تباين لغاتهم باختلاف إنتمائهم إلى الأوطان وإلى الشعوب ، فإن كل هؤلاء تجمعهم لغة إنسانية واحدة ، فقواعد النظام الصوتي التي تتكون منها مفردات اللغات المختلفة تخضع لقوانين عامة في إنتاج الأصوات ، ومن أمثلة ذلك : أن الميم في العربية مثلاً هي الميم في الانجليزية ، وفي الفرنسية وفي اليابانية ، وفي الأردية وفي الزنجية ، وكذلك الحركات أو المصوتات التي استطاع علم اللغة الأنجليزية، دانيل جونز أن يضع لها معايير لا تخرج عنها في لغة من اللغات ، اطلق عليها «الحركات المعيارية » .

حقاً قد يختلف الزنجي مثلاً عن العربي في بعض الصفات الثانوية التي تلازم طريقة نطقه للأصوات ، وقد تزيد الأحرف الهجائية في العربية عنها في لغة أخرى ، أو تنقص ، ولكن هناك دائماً قدراً مشتركاً من الصفات الأدائية ، ناشئاً عن التقارب الخلقي في جهاز النطق الإنساني من جهة كما أنه ناشيء عن العادات التي انطبع بها هذا الجهاز ، فكل عضو من أعضاء النطق أخذ منذ البداية وضعه الذي يتناسب مع الأصوات الأخرى التي يدرب على أدائها ، بحيث يصعب على المرء أن يؤدي أصواتاً تتميز بها لغة غير لغته ، ومن ذلك ما يصادفه الأوروبي من عسر ، وربما استحالة عند محاولته نطق الحاء أو العين العربية . فاللغة ملكة ومهارة في آن [١] .

(١) انظر عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام ص ١٦٥ ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكلام نوع من النشاط الاجتماعي : -

نعلم أن اللغة تلعب دوراً مهماً في عدد من الأنشطة الاجتماعية فالكلام مثلاً (يسمح لنا بالاتصال بعضنا ببعض على مستوى أكثر تركيباً وتعقيداً ، عما لو لم يكن هناك كلام، ولأن الاتصال نشاط اجتماعي ، يمكننا القول إن الكلام نشاط اجتماعي ايضاً) [١] .

يؤدي الكلام في التعامل الاجتماعي وظائف عديدة متنوعة في المواقف والمناسبات المختلفة، (ويقول سابير : إن من الصعب تحديد وظائف اللغة ، وذلك لأن اللغة راسخة رسوخاً عميقاً في جملة السلوك الإنساني ، بحيث لا يوجد جانب من سلوكنا الواعي إلا وتلعب فيه اللغة دوراً كبيراً) [٢] .

ويقول مالينوفسكي : (إن اللغة في استخداماتها البدائية ، تقوم بدور حلقة في سلسلة الأنشطة الإنسانية المتآلفة ، باعتبارها جزءاً من السلوك الإنساني ، فهي وسيلة من وسائل الفعل) [٣] ومن الأمثلة على ذلك نوع الكلام الذي يدور بين العمال مثلاً بشأن عمل مشترك يؤدونه معاً كقولهم : ارفع ، اخفض ، ادفع ، اسحب ، . . . . الخ ، إذ يقوم الكلام بقيادة الأفعال الجسدية للمتحدثين ، والتحكم بها ، أما عند فيرث فوظائف الكلام هي : (الطلبات ، والالتماسات ، والدعوات ، والاقتراحات ، والنصح ، وتقديم العون ، والإقرار بالفضل ، والموافقة وعدم الموافقة ، والتحية والتوديع ، والتشجيع ، والإذن، والوعد، والاعتذار ، والتهديد ، والتحذير ، والإهانة ، والمحاجة ، وهلم جرا) [٤] . ويعد مدى تحقيق الكلام لوظيفته التي أعدّ من أجلها معياراً من معايير الحكم على نجاح

---

(١) هدسون ، علم اللغة الاجتماعي ص ١٨٣ .

(٢) صبري ابراهيم السيد، علم اللغة الاجتماعي ص ١٥٩ .

(٣) هدسون ،المرجع السابق ،ص ١٨٧ .

(٤) صبري ابراهيم السيد، المرجع نفسه . ص ١٥٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكلام أو فشله ، ولذا نجد المتحدثين يحرصون على تفصيل كلامهم حسب احتياجات المخاطبين ووفق متطلبات الموقف أو السياق .

الكلام والهوية الاجتماعية : -

ربما كان في كل لغة كلمات تعكس الخصائص الاجتماعية للمتحدث أو المخاطب أو العلاقة بينهما ، ولذا فإن ورود مثل هذه الكلمات في كلام المتحدث يشير إلى الطريقة التي يرى بها المتحدث هذه الخصائص ، وسيعد المتحدث من المخالفين لهذه المعايير الكلامية إذا استخدم كلمات لغوية تدل على خصائص مغايرة .

ومن الأمثلة التي تعكس الخصائص الاجتماعية لفرد بعينه سواء أكان متحدثاً أم مخاطباً هي حالة الأبيبون ***Abipon*** في الأرجنتين الذين يقومون بإضافة اللاحقة ***(in)*** (- أن) في نهاية كل كلمة ، إذا كان المتحدث أو المخاطب من المحاربين [١]. ومثال آخر (عند هنود النوتكا في جزيرة فانكوفر فهناك صيغ كلامية تستعمل عند التكلم مع الأفراد الذين أصابهم تشوه) [٢].

وخصائص المخاطب تفرض أحياناً على المتكلم أن يجعل كلامه موائماً لطبيعة هذا المخاطب كأن يكون هذا المخاطب طفلاً مثلاً إذ يبدو أن معظم اللغات تتضمن كلمات خاصة لا تستخدم إلا عند توجيه الحديث إلى الأطفال ، ومنها (في الأنجليزية ***gee - gee*** للاستدلال على الحصان) [٣] عند مخاطبة الأطفال.

---

(١) انظر هدسون ،علم اللغة الاجتماعي ص ٢٠٦ .

(٢) صبري ابراهيم السيد ، علم اللغة الاجتماعي ص ١٦٥ .

(٣) هدسون ، المرجع السابق ص ٢٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النفوذ والتواصل : -

وهما مصطلحان دخلا علم اللغة الاجتماعي على يد عالم النفس الشهير براون ***R . Brown*** [١] وهما من خصائص العلاقات الاجتماعية التي يعكسها الكلام بين المتحدث والمخاطب .

والمقصود بالنفوذ هو القوة أو كما عبر عنه هدسون[٢] ***"power"*** أو السلطة، كسلطة الرئيس على المرؤوس. وهي السلطة الرسمية أو سلطة الأب على ابنه وهي سلطة الأبوة مثلاً .

أما التواصل فيعنى بالخصائص الاجتماعية التي يشترك فيها الناس كالدين ، والنوع ، والعمر ، والمنشأ، والعرق ، والمهنة ، والاهتمامات . . . . . الخ[٣] .

ومن أوضح علامات العلاقات الاجتماعية ذكر الأسماء الشخصية ، فكل شخص يمكن أن يخاطَب بأسماء مختلفة ، فيخاطب بالاسم الأول ، أو باسم العائلة ، أو بنعت أو بلفظ «السيد أو الأستاذ» ، ولكن الذي يقرر ما إذا كان الشخص يخاطب شخصاً آخر باسمه أو بغير ذلك هو النفوذ والتواصل ، فكلما زاد الفارق في النفوذ أو القوة بين المتحدثين ، مال الأقل نفوذاً وقوة إلى استخدام الكنى والألقاب الرسمية في محادثته الأكثر قوة ، نحو : أبو محمد ، السيد علي ، جلالة الملك ، صاحب السمو ، سماحة المفتي . . . الخ .وكلما زادت درجة التواصل بين المتحدثين مالوا إلى استخدام الأسماء الشخصية نحو : محمد ، أحمد ، وقد نجد أحياناً أن أحدهم يخاطب عمه أو خاله باسمه الشخصي مباشرة دون اللجوء إلى الألقاب المتعارف عليها مثل: (عمي ، خالي) وذلك عند وجود قدر كبير من التواصل بينهما كالتقارب في العمر مثلاً ونلتفت إلى استخدام القرآن الكريم للاسم الشخصي والكنى ،

---

(١) صبري ابراهيم السيد ، علم اللغة الاجتماعي . ص ١٦٥ .

(٢) انظر هدسون . علم اللغة الاجتماعي ص ٢٠٩ .

(٣) صبرى ابراهيم السيد ،المرجع نفسه ص ١٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فنجد أن الله جل وعلا قد خاطب أحبابه من الأنبياء والمرسلين بأسمائهم الشخصية فقال تعالى :﴿ يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك ﴾ [١] ، وقال تعالى : ﴿ وما تلك بيمينك يا موسى ﴾ [٢] ، وقال ايضاً ﴿ إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ﴾ [٣] ، في حين أنه عز وجل ذكر أعداءه بكنيتهم فقا ل تعالى : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾[٤]، لانتفاء التواصل بين الله عز وجل ومن عصاه ، أما في الحالة الأولى فقد توفر شيء من التواصل بين الله عز وجل وأنبيائه .

على أن مسألة الأسماء الشخصية والكنى يختلف حكمها في مخاطبتنا الأطفال ، فالمألوف أن يخاطب الطفل باسمه الشخصي ، ولكن قد تلجأ بعض الأسر إلى إطلاق كنية ما على أحد أبنائها الصغار ، وليس هذا إلا من باب التحبب والملاطفة . وقد ذكر بعضهم : إذا كان استعمال الاسم الأول للشخص هو علامة على المودة ، فإن استخدام الكنية أو اسم التدليل يكشف عن مودة أكبر[٥] . ويبدو أن هذا القول يخالف ما سبق ذكره ، ولعل مرد الأمر في المسألة يعود إلى اختلاف المجتمعات واختلاف تقاليدها ، ففي بلادنا مثلاً تبقى الأم تخاطب ابنها باسمه الشخصي حتى بعد أن يصبح جداً معبرة عن مدى قربه منها ودرجة حبها له .

وطريقة النطق بالاسم قد توحي بمكانة صاحب الاسم أو بنوع العلاقة بين الناطق وصاحب الاسم ، فنحن مثلاً ننطق باسم «محمد» عندما يكون اسماً لشخص من عامة الناس بطريقة تختلف عن نطقنا للاسم نفسه « محمد » إذا كنا نعني به الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة

---

(١) آية ٧٦ سورة هود .

(٢) آية ١٧ سورة طه .

(٣) آية ٥٥ ، سورة آل عمران .

(٤) اية ١ سورة المسد .

(٥) انظر صبري ابراهيم السيد ، علم اللغة الاجتماعي ص ١٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتسليم، إذ إننا نلتزم دائماً الصيغة الفصيحة بالنطق فنقول: (مُحَمّد عندما نعني به الرسول سواء أكان الموقف رسمياً أم غير رسمي ، في حين أننا ننطقه بالطريقة العامية المتعارف عليها ، والتي قد تتمثل كنايتها بـ «امحمّد» إذا عنينا شخصاً من عامة الناس حتى وإن كان الموقف رسمياً أحياناً .

انتماء المتحدث إلى مجموعة : -

يشكل المتحدث نفسه مؤثراً فاعلا وبارزاً في اختيار البدائل من المتغيرات اللغوية ، بمعنى أن نوعية المتحدث وما هية التجارب التي مرّ بها والخبرات التي يتمتع بها إضافة إلى درجة رسمية الموقف ، كلها عوامل مؤثرة في الاختيار اللغوي للمتحدث [١]، أي أن المهنة ، ومكان الإقامة ، والتعليم ، والدخل ، والأصل العرقي ، والخلفية الثقافية، والطبقة الاجتماعية والديانة والجنس والعمر ، ترتبط ارتباطاً مباشراً بالطريقة التي يتكلم بها الناس ، ففي الهند على سبيل المثال تحدد الطبقة الاجتماعية التنوع اللغوي أو التغير اللغوي الذي يستعمله المتكلم، وفي مدينة بغداد يتكلم المسلمون والمسيحيون واليهود تنوعات لغوية مختلفة من العربية ، فيستعمل المسيحيون واليهود تنوعهم اللغوي الخاص، لكن التنوع اللغوي الذي يستعمله المسلمون هو اللغة المشتركة بين الجماعات الثلاث ، وبالتالي فإن المسيحيين واليهود الذين يتعاملون مع المسلمين يستعملون تنوعين لغويين ، التنوع الخاص بهم في بيوتهم ، والتنوع الذي يستعمله المسلمون في كل صلاتهم داخل الجماعة[٢].

وقد أكدت نظرية أفعال توكيد الهوية ***acts of identity*** أن كل تلك العوامل - السابقة الذكر - تؤثر في كلام المتحدثين بقدر تمثيلها لمجموعات اجتماعية يمكن للمتحدث

---

(١) انظر هدسون .علم اللغة الاجتماعي ص ٢٨٧ .

(٢) صبري ابراهيم السيد، علم اللغة الاجتماعي ص ١٤٥ .(١) انظر صبري ابراهيم السيد ، علم اللغة الاجتماعي ص ١٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التعرف عليها ، أي بعبارة أخرى إن المهم ليس هو مدى خبرة الفرد بنوعية معينة من الكلام بل مدى رغبته في الإنتماء إلى نوعية الناس الذين يتحدثون بهذه النوعية[١] .

وقد ظهرفي بحث لابوف الذي قام به عن مدينة نيويورك أن المتكلمين ذوي العرق اليهودي والايطالي يميزون أنفسهم عن المتكلمين بالإنجليزية الفصحى أو الإنجليزية السوداء بإظهار المبالغة في النطق الصحيح للكلام فالايطاليون ينزعون إلى تلفظ كلمات مثل : ***bad*** , ***bag*** بصوت لين يشبه صوت اللين الموجود في كلمة ***beard*** أما اليهود فينطقون كلمات مثل ***dog*** بصوت لين أشبه بصوت اللين الموجود في كلمة ***book*** والدافع لمثل هذا السلوك هو الرغبة في الابتعاد عن اللغة الايطالية وأصوات اللين البيدية - وهي لهجة من لهجات اللغة الألمانية[٢] . وقد تضاف السياسة والدين إلى عوامل التأثير على الكلام واختياره ومن الشواهد على هذا ، تلك المذاهب والفرق الدينية ، والأحزاب السياسية التي ظهرت في التاريخ العربي الإسلامي وكيف كانت هناك بعض الألفاظ تختص بمذهب أو فرقة ما ، لدرجة أن المتحدثين من المذاهب أو الفرق الأخرى يتجنبون استخدام تلك الألفاظ الخاصة بالمذهب الآخر خوفاً من تهمة الإنتماء إليه . على أن مجموعة العوامل هذه التي تؤثر في التنوع اللغوي أو اختيار الكلام ليس بالضرورة أن تؤثر جميعها في كل مجتمع أو على كلامه ، ولكن (نستطيع أن نقول إن العوامل المؤثرة بالنسبة لكل مجتمع هي العوامل المهمة من الناحية الاجتماعية في هذا المجتمع بعينه) [٣].

---

(٢) انظر هدسون ،علم اللغة الاجتماعي ص ٢٢٩ .

(٣) انظر صبري ابراهيم السيد ،علم اللغة الاجتماعي ص ١٤٦ .

(٤) انظر هدسون ،المرجع السابق ص ٢٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السلوك الكلامي والسلوك غير الكلامي : -

نتساءل ما طبيعة العلاقة بين السلوك الكلامي والسلوك غير الكلامي في التعامل الاجتماعي ؟ إنها علاقة وثيقة ، فغيرث يقول في هذا الصدد :(إن صوت الإنسان واحد من مكونات نظام كلي وبهذا المعنى يتكلم الإنسان بكل جسمه ، فهو يتكلم بجسمه وعضلاته . . . . . الخ)[١].

ويقول ايضاً عالم اللغة دافيد ابروكرومبي بأننا نتكلم بأعضائنا الصوتية ولكننا نتحدث بكل أجزاء جسمنا [٢] .

يرتبط السلوك غير الكلامي بجانبين من جوانب الكلام ؛ أولهما تحديد العلاقة بين المتحدث والمتلقي ، وتحديد بنية الخطاب، والجانب الثاني يرتبط بتوصيل « مضمون » الخطاب أي القضايا والمدلولات .

تعد المسافة بين المتكلم والمتلقي أو المستمع من جوانب السلوك غير الكلامي التي تكشف عن العلاقة بينهما أو ما يسمى بالنفوذ والتواصل ويختص بدراسة هذا الجانب - أي المسافة بين المتكلم والمتلقي - علم يسمى علم القرب ***Proxemics*** ، وهذه المسافة تختلف من ثقافة إلى ثقافة ، فالعرب والناس في امريكا اللاتينية بوجه عام يجعلون المسافة بين المتكلم والسامع أقرب مما يفعل الأمريكيون ، وقد عقدت مقارنات بين طلاب عرب وطلاب أمريكيين في جامعة أمريكية ، طلب فيها من الطلاب العرب أن يتحدثوا اثنين اثنين وكذا الأمريكيون ، وكان القائمون بالبحث يراقبونهم - دون أن يشعروا - في كيفية جلوس الواحد بالقرب من الآخر وتوجهه نحوه ، واتصاله به . . ونظره إليه . . وتحدثه بصوت مرتفع أو غير مرتفع [١]

---

(١)صبري ابراهيم السيد، علم اللغة الاجتماعي ص ١٧٧ .

(٢) انظر هدسون ،علم النفس الاجتماعي، ص ٢٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعند مقارنة النتائج وجد أن العرب يواجهون بعضهم بطريقة أكثر مباشرة من الأمريكيين ، وأنهم يقتربون من بعضهم في جلوسهم أكثر من الأمريكيين ، وأنهم أكثر استعداداً لملامسة بعضهم بعضاً ، والنظر مباشرة في عيون بعضهم بعضاً، وتخاطبوا بصوت أعلى من أمثالهم الأمريكيين ، وتبين من هذه الدراسة وأمثالها أن المسافة المادية التي تفصل بين المتحدثين تتناسب مع المسافة الاجتماعية ، فالذين يشعرون بتقاربهم الروحي سيقتربون من بعضهم بعضاً نسبياً في التعامل ، في حين أن المسافة ستكون أطول نسبياً بين المتحدثين في المواقف الرسمية أو بين من لا تربطهم علاقة شخصية مثلاً [٢] ، وكل ذلك يساعدنا على فهم علاقة النفوذ والتواصل .

ومن أمثلة (اللغة الصامتة ايضاً طرق المصافحة ، فقد تكون باليد أو اليدين ، وقد يحل محلها حك الأنف ، أو يضاف اليها التقبيل أو العناق ، طبقاً للعلاقة بين الشخصين المشاركين[٣] وهذا السلوك غير الكلامي قد يساعدنا على تحديد بنية الخطاب وتحديد نوعها ، إذ إنه سلوك مُنمّط بوضوح مثله مثل السلوك الكلامي ، فالسلام بالأيدي في بريطانيا يعد إشارة على إعطاء العلاقة بداية جديدة بدلاً من الإشارة إلى وثاقة العلاقة ، ولذلك فغالباً ما يستخدم السلام بالأيدي للتصالح بين الأصدقاء بعد القطيعة والعراك ، أو عند التعرف على غريب لأول مرة [٤]. بينما نجد أن السلام بالأيدي عند المسلمين قد يكون عند كل لقاء ولو كان يومياً أو ربما غير مرة في اليوم الواحد ، ويرمي ذلك للتعبير عن قوة رابطة الأخوة ودرجة الودّ بين المتصافحين .

ومن السلوك غير الكلامي الهام بالنسبة لبنية الخطاب ، الإشارات التلقينية غير الكلامية

---

(١) انظر صبري ابراهيم السيد ، علم اللغة الاجتماعي ص ١٧٧ .

(٢) انظر هدسون، علم اللغة الاجتماعي ص ٢٢٩ .

(٣) انظر صبري ابراهيم السيد ،المرجع السابق ص١٧٧ .

(٤) انظر هدسون ،علم اللغة الاجتماعي ص ٢٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتي تعمل على تنظيم التناوب في الحديث ، أي كيف يشير المتحدث إلى أنه قد انتهى من كلامه ليسمح للآخرين في أخذ دورهم بالكلام ؟ .

لقد أثبتت الأبحاث والدراسات (أن التناوب في الكلام نوع من النشاط غاية في المهارة يتطلب دراسة أنواع عديدة من السلوك بالإضافة للكلام مثل حركة العينين ، وهذه الأنشطة كلها متناسقة ومتزامنة من ناحية التوقيت الدقيق كما تكون أفعال المشتركين غاية في الدقة والانتظام)[١] .

ويبدو أن « حركة العين » من أهم الإشارات التلقينية بين المتحدثين إذ تعمل على تقسيم الأدوار بينهم كما تعمل الإشارات المرورية . فالحاصل أن المخاطب ينظر في عيني المتكلم أكثر مما ينظر المتكلم نفسه في عيني من يخاطب ولذا فعند تغيير الأدوار فغالباً ما ينظر المتكلم في عيني من يخاطب مشيراً له أنه أنتهى من كلامه أو أوشك ، ليبدأ الآخر كلامه حين يحول نظره عن المتكلم إلى شيء آخر أو إلى الأسفل ، وهذا يحدث في العادة إن كان الموقف الكلامي بين عدد محدود من المتحدثين ، أما المواقف الكلامية في المؤسسات كالمدارس والمؤتمرات والبرلمانات فهناك إشارات نمطية رسمية لتناوب الأدوار ، مثل رفع الأيدي للراغب في الكلام أو التحرك للأمام بالمقعد أو التململ في الجلسة ، أو السعال لتمهيد الحنجرة [٢] .

وقد تعبر العين أيضاً عن الخوف أو الدهشة أو إظهار الاهتمام بما يقدم محدثنا أو للتعبير عن التحدي عن طريق الشخوص بالأبصار [٣] .

---

(١) انظر هدسون، علم اللغة الاجتماعي ص ٢٢٢ .

(٢) انظر هدسون، المرجع السابق ص ٢٣١ .

(٣) انظر صبري ابراهيم السيد ، علم اللغة الاجتماعي ص ١٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المضمون : -

قلنا إن الجانب الثاني الذي يربط به السلوك غير الكلامي هو المضمون فكثيراً ما يقوم السلوك غير الكلامي بسد مسد السلوك الكلامي في التعبير عن المضمون المراد ايصاله .

وقد لفت السلوك غير الكلامي من إشارات وايماءات نظر الكثير من الباحثين ، وخصص له فرع من الدراسة ، سمى بعلم الحركة الجسمية *kinesics* وكان أول من ابتكره هو بيردوسل عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي عام ١٩٥٢ ، وقد لاحظ أن إيماءات الجسم وإشاراته عند المتكلم الثنائي اللغة أو الثلاثي اللغة *Trilingual* تتغير بتغير اللغة التي يتكلم بها ، وزعم أن بالإمكان معرفة لغة الفرد من خلال ايماءات جسمه[١].

ويقول فندريس : (إننا نعرف حالة من الاستعمال الطبيعي للغة البصرية ألا وهو لغة الحركات المستعملة إلى جانب اللغة السمعية ، عند بعض الشعوب المتوحشة ، وهنا لا يتوقف الأمر على أن يكون الكلام مصحوباً بالإشارة كما هو الحال لدى الشعوب المتحضرة ، بل يدور الأمر حول نظام من الحركات لا تستطيع وحدها التعبير عن الآراء التي يراد توضيحها ، مثلها في هذا مثل الكلمات تماماً ، وتلك لغة فطرية إلا أن لها مزاياها : إذ يمكن استعمالها على بعد بين مكانين لا يقدر الصوت على أن يصل بينهما وإن استطاعت العين التقاط الحركات ، ثم تُمكَّن على وجه الخصوص من عدم إثارة انتباه الحاضرين بضوضاء الأصوات وتلاميذ المدارس يستعملون هذه الوسيلة الصامتة لتفاهمهم داخل غرف الدراسة ، فاللغة بالحركة يمكن إذن أن يكون لها أصل نفعي)[٢].

---

(١) انظر صبري ابراهيم السيد ، علم اللغة الاجتماعي ص ١٨١ .

(٢) فندريس ، اللغة ، ص ٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هذه الحركات التي تتعلق بالسلوك غير الكلامي ما يتصل بالرأس والوجه والحاجب ، والعين ، والخد ، والفم ، والصدر ، والجذع ، والكف ، . . . . الخ . وإليك بعضاً مما يقوم به كل عضو من حركات :

الرأس : مثل قذف الرأس إلى الوراء عند التحدي ، وهز الرأس يمنة ويسرة حين نجيب بالنفي ، وتنكيس الرأس خشوعاً أو رهبة أو خجلاً ، ورفع الرأس تعالياً وكبرياء أو إباء وشمماً ، وليّ الرأس إظهاراً لعدم الاكتراث .

الوجه : مثل توليه الوجه شطر جهة بعينها ، والاتجاه بوجهنا نحو محدثنا مقبلين عليه ، والإشاحة بالوجه عن محدثنا إعراضاً أو كراهية أو احتقاراً .

الحاجب : مثل ارتفاع الحاجبين عند الدهشة أو المفاجأة .

العين : مثل الشخوص بالأبصار عند الخوف أو الدهشة أو لإظهار الاهتمام بما يقدم محدثنا أو للتعبير عن التحدي .

الخدّ : تصعيره للناس كبرياء وغطرسة .

الفم : الابتسامة السعيدة والابتسامة الصفراء ، والتكشير عن الأنياب .

الصدر : مثل الإقبال على المحدث بالصدر في ودٍّ وتعاطف .

الجذع : مثل ثني الجذع خنوعاً أو خشوعاً .

الكف : مثل ضرب أحد الكفين بالكف الآخر أو أكثر « التصفيق » للدلالة على التعجب أو الدهشة [١] . أو للدلالة على الثناء والمدح أو التأييد والموافقة ، ثم هناك استخدام الأصابع للعد أو للإشارة إلى العدد[٢] .

(١) انظر صبري ابراهيم السيد، علم اللغة الاجتماعي ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

(٢) انظر هدسون، علم اللغة الاجتماعيرص٢٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوجهة الاجتماعية عند اللغويين العرب :-

لقد تنبه اللغويون العرب في وصفهم العربية ، ورسم معايير نظامها النحوي إلى («محيط » الحدث الكلامي و « سياقة » و«المتغيرات الخارجية » التي تكتنف مادة الكلام)[١]، إلى جانب عنايتهم بالدرجة الأولى بالبناء الداخلي للمادة الكلامية .

ولعل أولى هذه الإشارات التي تلمح إلى شيء من إحساس اللغويين العرب باجتماعية اللغة تلك الفكرة التي أقام عليها الخليل معجمه « العين » ، وهي فكرة التقاليب ، بدافع الشعور أن أصواتاً معينة إذا اجتمعت في لفظ أدت معاني قريبة من بعضها ، وإن اختلف ترتيبها في اللفظ ، وهو ما سماه ابن جنّي فيما بعد « الاشتقاق الأكبر » وكأنه غدا عرفاً اجتماعياً بين أبناء اللغة الواحدة أن هذا الصوت مرتبط بهذا المعنى .

أما سيبويه فوجهته الاجتماعية في منهجه النحوي جلية بارزة [٢]. ومن الأمثلة على هذه الوجهة عنده أن(المعيار الكلي الذي أقامه للكلام . . . . مبني على ملاحظة المعاني اللغوية وفق معطيات العالم الخارجي ، وذلك أنه قسّم الكلام إلى مستقيم حسن ، ومحال ، ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح، ومحال كذب ، فقد جعل من المحال قولك : اتيتك غداً، وسآتيك أمس)[٣]، وبسبب هذا الضبط المعياري الخارجي رُفض قول القائل : هذا أنت .ويعلل سيبويه هذا الرفض بقوله : (أنك لا تشير للمخاطب إلى نفسه ، ولا تحتاج إلى ذلك ، وإنما تشير له إلى غيره)[٤] .

ويتابعه على هذا ابن السّراج قائلاً : (ولا يجوز : هذا أنا وهذا أنت ، لأنك لا تشير

---

(١) نهاد الموسى، الأعراف أو نحو اللسانيات الاجتماعية في العربية ، ص ١٤٥ . مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية ، الجامعة التونسية ، ١٩٨٦ .

(٢) انظر نهاد الموسى، الوجهه الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه ، بحث نُشر في مجلة حضارة الاسلام ، دمشق ، ١٩٧٤ .

(٣) انظر نهاد الموسى، المرجع نفسه ص ٥ .

(٤) نهاد الموسى، الأعراف أو نحو اللسانيات الاجتماعية في العربية ، ص ١٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للأنسان إلى نفسه ، ولا تشير إلى نفسك ، فإن أردت التمثيل أي : هذا يقوم مقامك ويغني غناءك ، جاز أن تقول : هذا أنت ، وهذا أنا ، والمعنى : هذا مثلك وهذا مثلي)[١] . وجملة مثل(رأيت الهلال) نجدها (لا تستقيم عند سيبويه إذا كان المتكلم أعمى)[٢] فقد نظر سيبويه في الحال التي يكون عليها المتكلم ، ونظر في الأحداث المترتبة على الأفعال، هل هذه الأفعال تتناسب وحال المتكلم ؟ وهل باستطاعته أن يقوم بهذه الأفعال ؟ فإذا اتفقت حاله مع الحدث جاز له أن ينسب هذا الحدث إليه ، وإلا لا يجوز له أن يسند هذا الحدث إليه ، إلا أنه يجوز لهذا الأعمى أن ينسب لنفسه الفعل « رأيت » شرط أن يكون بمعنى علمت فنراه يقول ، ألا ترى أنه يجوز للأعمى أن يقول : رأيت زيداً الصالح [٣].

وحال المخاطب ايضاً من الجوانب التي تنبه إليها اللغويون العرب في بناء الحدث الكلامي ، وهذا عنوان سيبويه في الكتاب منبيء بهذا إذ يقول : (هذا باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره إذا علمت أن الرجل مستغن عن لفظك بالفعل ، وذلك قولك : زيداً ، وعمراً ، وذلك أنك رأيت رجلاً يضرب أو يشتم أو يقتل ، فاكتفيت بما هو فيه من عمله أن تلفظ له بعمله فقلت : زيداً ، أي أوقع عملك بزيد)[٤] .

ويفصّل ابن السراج في الحال التي يكون عليها المخاطب من حيث مدى علمه بالشيء أو جهله به ، إذ تحدد هذه الحال للمتكلم الحدود التي سيجيب في إطارها ، فيقول في معرض حديثه عن أن خبر المبتدأ قد يكون جواب « ما » و « أي » و « كيف » و «كم » و« أين » و «متى" : (يقول القائل : الدينار ما هو ؟ فتقول : حجر ، فتجيبه بالجنس ، ويقول الدينار أي

(١) ابن السراج، الاصول في النحو، ص ١٥٢، تحقيق عبد الحسين الفتلي.

(٢) نهاد الموسى، الأعراف أو نحو اللسانيات الاجتماعية ص ١٥٢ .

(٣) انظر دور السياق في منهج التحليل النحوي عند سيبويه،موسى الشلتاوي ص ١١٨ ، مخطوطة رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ١٩٩١ .

(٤) سيبويه الكتاب . ج ١ ص ٢٥٣ تحقيق عبد السلام هارون ، ط (٣) عالم الكتب ١٩٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحجارة هو ؟ فتقول : ذهب ، فتجيبه بنوع من ذلك الجنس ، وهذا إنما يسأل عنه من سمع بالدينار ولم يعرفه)[١] .

ولعل إشارة ابن سراج إلى حال السائل هنا وكيف أنها حددت طبيعة الإجابة عليها تنبئنا بإدراكهم أن الرسائل المنطوقة تفصّل خصيصاً حسب احتياجات المتلقين ، وهو ما يقول به علماء علم اللغة الاجتماعي في عصرنا هذا من أمثال هدسون .

فقد يستخدم المتكلم أداة استفهام وهو لا يريد استفهاماً عن شيء ما ، وعندها سيراعي من يشاركه الحدث الكلامي مقصد هذا المتكلم حين يصوغ له إجابة ، فقد يسألك صديقك العارف بالدينار تماماً فيقول : ما الدينار ؟! ، وعندها لن ينصرف ذهنك إلى أنه يجهله ، ويطلب منك أن تصفه له وتوضحه ، وإنما ستدرك أن كلامه ينصرف إلى معنى التقليل من قيمة الدينار أو السخرية بأنه لا يساوي شيئاً هذه الأيام ولذا فحتماً ستختلف الإجابة هنا عنها في المثال السابق عند ابن السراج .

وحتى تتحقق حاجة المتلقي أو المخاطب من الحديث فلا بد أن يكون ذا فائدة ، ولذلك ففائدة المتلقي شرط لاستقامة التركيب اللغوي ، ومن قول ابن السراج :(واعلم أنه لا يجوز أن تقول : زيد يوم الخميس ، ولا عمرو في شهر كذا ، لأن ظروف الزمان لا تتضمن الجثث ، وإنما يجوز ذلك في الأحداث نحو الضرب والحمد ، وما أشبه ذلك ، وعلة ذلك أنك لو قلت : زيد اليوم لم تكن فيه فائدة ، لأنه لا يخلو أحد من أهل عصرك من اليوم ، إذا كان الزمان لا يتضمن واحداً دون الآخر . . . . . فإن قال فأنت قد تقول : الليلة الهلال ، والهلال جثة ، فمن أين جاز هذا ؟ فالجواب في ذلك أنك إنما أردت : الليلة حدوث الهلال ، لأنك ربما تقول ذلك عند توقع طلوعه . . . وكذلك إن قلت : اليوم زيد ، وأنت تريد هذا

(١) ابن السراج . الاصول في النحو ص ٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعنى جاز) [١] ، ثم يلخص ابن سراج القاعدة النحوية هنا فيقول : (إن ظروف الزمان لا تتضمن الجثث إلا على شرط الفائدة والتأول [٢])[٣] .

وهذا مثال آخر يؤكد عنايتهم بحال المخاطب وفائدته إضافة إلى التفاتهم إلى نية المتكلم نفسه ، كونها ضابطاً يسّوغ تركيباً لغوياً أو لا يسّوغه ، ونجد مثالاً على هذا عند ابن السراج حين يتحدث عن حالات المبتدأ والخبر وإحداها (أن يكون المبتدأ والخبر معرفة نحو : زيد أخوك ، وأنت تريد أنه أخوه من النسب ، وهذا ونحوه إنما يجوز إذا كان المخاطب يعرف زيداً على انفراد ولا يعلم أنه أخوه لفرقة كانت بينهما أو لسبب آخر ، ويعلم أن له أخا ولا يدري أنه زيد هذا ، فتقول له : زيد أخوك ، أي زيد هذا الذي عرفته هو أخوك الذي كنت تعلمه ، فتكون الفائدة في اجتماعهما ، وذلك هو الذي استفاده المخاطب ، فمتى كان الخبر عن المعرفة معرفة ، فإنما الفائدة في مجموعهما ، فأما أن يكون يعرفهما مجتمعين ، وأن هذا هذا، فذا كلام لا فائدة فيه ،فإن قال قائل : فأنت تقول : الله ربنا ، ومحمد نبينا ، وهذا معلوم معروف ، قيل له : هذا إنما معروف عندنا وعند المؤمنين ، وإنما تقوله رداً على الكفار ، وعلى من لا يقول به ، ولو لم يكن لنا مخالف على هذا القول لما قيل إلا في التعظيم والتحميد يطلب الثواب به ، فإن المسبّح يسبّح ليس يريد أن يفيد أحداً شيئاً [٤].

تُجدي هذه الأمثلة المتقدمة بأن نستوضح منها درجة عناية اللغويين العرب بملابسات

---

(١) ابن السراج الأصول في النحو ص ٦٣ .

(٢) (إن الفائدة من الإخبار باسم الزمان عن اسم الجنه تحصل باحد أمور ثلاثة" أولها : أن يتخصص اسم الزمان بوصف أو بإضافة ويكون مع ذلك مجروراً بفي، نحو قولك : (نحن في يوم قائض) . وثانيهما : أن يكون على تقدير مضاف هو اسم معنى. نحو قولهم :(الليلة الهلال) ، فإن التقدير : الليلة طلوع الهلال .

وثالثهما : أن يكون اسم الجثة مما يشبه اسم المعنى في حصوله وقتاً بعد وقت. نحو قولهم : الرطب شهري الربيع). شرح ابن عقل على ألفية ابن مالك ج ١ ، هامش ص ٢١٥ .

(٣) ابن السراج ، الأصول في النحو ص ٧٠ .

(٤) ابن السراج ،المصدر نفسه ص ٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموقف الكلامي وإدراكهم كيفية تأثيرها فيه ، نعم ، قد كانت هذه بعض نظرات سبقت ابن جنّي ، تومىء الى تنبه لغويينا العرب و إحساسهم باجتماعية اللغة ، بدءاً بالخليل ثم سيبويه ، وهناك المبرد وتلميذه ابن السراج ، الذي غدا أستاذ عدد من اللغويين أو النحويين ومن أبرزهم أبو علي الفارسي شيخ ابن جنّي ، وعليه فمن البديهيّ أن يكون ابن جنّي قد أُثريَ بهذا الفكراللغوي الذي سبقه ، فنظر فيه ، ونهل منه ، وأضاف إليه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النظرة الاجتماعية للغة عند ابن جنّي : -

إشارات عديدة تلك التي تؤكد إدراك ابن جنّي اجتماعية اللغة ، وتلمسه مواضع تلاحم اللغة مع الحياة الاجتماعية بكل أبعادها. ويتصدر هذه الإشارات تعريف ابن جنّي للغة حين يقول : (أما حدّها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)[١] . وعلى ما نعرف ما للعرب من دقة في انتقاء الألفاظ واستعمالها وخاصة إمامنا اللغوي ابن جنّي ، فورود (لفظة « القوم » هنا مقصود بلا شك)[٢] ، ونتساءل مع عبده الراجحي : لماذا لم يقل ابن جنّي مثلاً : يعبر بها كل إنسان أو كل فرد ؟

إن لفظة « القوم » (تعني « المجتمع » وبخاصة أن لفظة « المجتمع » لم تكن مستعملة في هذا المعنى الذي نعنيه الآن ، وإنما كان العرب يستعملون « القوم » للدلالة على « المجتمع» كما نفهمه في العصر الحديث)[٣] .

إذا لقد كان ابن جنّي يدرك أن اللغة لا تكون إلا داخل « مجتمع » ، وهذه هي اللبنة الأساسية في علم اللغة الاجتماعي ، فعلماء اللغة المحدثون يتفقون على أن اللغة ظاهرة اجتماعية لأنها لا تحيا إلا داخل المجتمع، يقول فندريس : (في أحضان المجتمع تكونت اللغة، وجدت يوم أحسّ الناس بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم فاللغة وهي الواقع الاجتماعي بمعناه الأوفى ، تنتج من الاحتكاك الاجتماعي ، وصارت واحدة من أقوى العرى التي تربط الجماعات ، وقد دانت بنشوئها إلى وجود احتشاد اجتماعي)[٤] .

ونمعن النظر في لفظ آخر من ألفاظ تعريف ابن جنّي للغة ، وهو « الأغراض » ، ونعلم

---

(١) ابن جني ،الخصائص، ج ١ ص ٣٣ .

(٢) عبده الراجحي . فقه اللغة في الكتب العربية ، ص ٧١ .

(٣) عبده الراجحي ، المرجع نفسه ص ٧٤ .

(٤) فندريس ، اللغة ص ٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أغراض الإنسان والمجتمعات كثيرة متنوعة متطورة باختلاف الزمان والمكان . ومن أبرز هذه الأغراض « التفكير » ، ولعل (لفظة « الأغراض » أكثر توفيقاً من استعمال لفظة « التفكير » لأنها أكثر اتساعاً وشمولاً من لفظة « التفكير »)[١] ، أو لفظة « الفكر » التي استخدمها اللغويون المحدثون حين تحدثوا عن « اللغة والفكر » وهو موضوع ما يزال يحتل مكانة في علم اللغة خاصة علم اللغة الاجتماعي .

وبعد ، فإن استيعاب ابن جنّي لما هية اللغة كان حرياً أن يدفعه إلى تخطي حدود النص الذاتية في تحليله اللغوي ليلتفت إلى مجموع الظروف التي تحيط بالحدث الكلامي وبعناصره من متكلم ومخاطب وحال مشاهدة ، فنراه مثلاً لا يغفل أي حركة أو سكنة أو إشارة أو انفعال يرافق الحدث الكلامي . بل يؤكد أهميتها في كشف المعنى ، فيقول في الخصائص : (وقال لي بعض مشايخنا رحمه الله : أنا لا أحسن أن أكلم إنساناً في الظلمة)[٢] . نعم لأن هذه الظلمة ستفقد الحدث الكلامي كثيراً من مقوماته التي يعتمد عليها إلى جانب اللغة نفسها ، ويتأكد هذا بقوله : (أولا تعلم أن الإنسان إذا عناه أمرٌ فأراد أن يخاطب به صاحبه ، وينعم تصويره له في نفسه استعطفه ليقبل عليه ؛ فيقول له : يا فلان أين أنت أرني وجهك ، أقبل عليّ أحدثك ، أما أنت حاضر يا هناه ، فإذا أقبل عليه ، وأصغى إليه ، اندفع يحدثه ، أو يأمره ، أو ينهاه ، أو نحو ذلك ، فلو كان استماع الأذن مغنياً عن مقابلة العين ، مجزئاً عنه لما تكلف القائل ، ولا كلف صاحبه الإقبال عليه ، والإصغاء له)[٣] .

وتستوقفنا عبارته (فلو كان استماع الأذن مغنياً عن مقابلة العين . . . .) فنقول : ترى هل توصلت دراسات اللغويين المحدثين إلى شيء بشأن دور العين في الحدث الكلامي ؟ .

---

(١) عبده الراجحي ، فقه اللغة في الكتب العربية ، ص ٧٤ .

(٢) ابن جنّي، الخصائص ، ج ١ ص ٢٤٧ .

(٣) ابن جنّي، المصدر نفسه ، ج ١ ص ٢٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في دراسة اللغويين الغربيين لبنية الكلام أو الخطاب ، وجد أن بعض هذه البنى تعتمد على حقيقة أن الناس يتناوبون ***(Talk Turns)*** عند الكلام ، وذلك في أنواع الاتصال لدرجة أن الخطاب يمكن تقسيمه إلى أجزاء مفصلة من الكلام يتناوبها أو يشترك فيها كل من المتحدثين ، ودراسة هذا الجانب من الخطاب أثار بعض الأسئلة حول كيفية التناوب، فمثلاً كيف يوضح المتحدث أنه على وشك الإنتهاء من الكلام ؟ وكيف يوضح المتلقي أنه على وشك أن يبدأ في الكلام ؟ ومن يحدد من الذي سيتكلم في الدور الثاني ؟ وبعد الدراسات في مجال الأبحاث الخطابية اتضح أن التناوب في الكلام نوع من النشاط غاية في المهارة يتطلب أولاً دراسة أنواع عديدة من السلوك - بالإضافة للكلام - مثل حركة العين « ***eye - movement*** »[١].

لقد أدرك ابن جنّي قبل مئات السنين أن للعين دوراً فاعلاً في الحدث الكلامي ، لا تسدّ مكانه الأذن ، واليوم تثبت الدراسات اللغوية أن من أهم أنواع السلوك غير الكلامي الذي يصاحب الكلام هو حركة العين ، والتي لا بد من دراستها إذا أردنا أن ندرس بنية الكلام نفسه .

ويرى ابن جنّي أن النحاة قد فاتهم الكثير باعتمادهم السمع دون الحضور والمشاهدة فيقول: (فليت شعري إذا شاهد أبو عمرو وابن أبي اسحاق ، ويونس ، وعيسى بن عمر ، والخليل، وسيبويه . . . ومن في الطبقة والوقت من علماء البلدين ، وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها ، وتقصد له من أغراضها ، ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات ، ولا تضبطه الروايات فتضطر إلى قصود العرب، وغوامض ما في أنفسها حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلته عليه إشارة ، لا عبارة ، لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقاً ، غير متهم الرأي والنحيزة والعقل)[٢].

---

(١) انظر هدسون ، علم اللغة الاجتماعي ص ٢٢٢ .

(٢) ابن جنّي ،الخصائص ج ١ ص ٢٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومؤدى قوله هذا أنه يقيم وزناً كبيراً لما يسمى الآن « السلوك غير الكلامي» في علم اللغة الاجتماعي ، وهو كل ما يطرأ في أثناء الكلام ممن يشهد الموقف الكلامي من انفعال كالاقتناع أو الألم أو الإغراء أو الضحك ، والذي تمثل في قول ابن جنّي : (شاهد . . . وجوه العرب . . . .) فالوجه هو الذي يعبر لنا ويحدثنا عن هذه الانفعالات ، وابن جنّي يدرك دور الوجه في الحدث الكلامي حقّ الإدراك ويعي أن تعابير الوجه وحركاته قد تقوم مقام الألفاظ وتغني عنها أحياناً ، ويتأكد هذا عنده حين يتحدث عن حذف الصفة عند من سئل عن إنسان -مثلاً- فأراد أن يذمّه ، فعدل عن التصريح بألفاظ الذمّ واكتفى بإشاحة وجهه وعبوسه ، ونص قول ابن جنّي : (وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت : سألناه وكان إنساناً ! وتَزْوي وجهك وتقطبه ، فيغني ذلك عن قولك : إنساناً لئيماً . . . .) [1].

ومن السلوك غير الكلامي أيضاً أية اشارة أوحركة تصاحب الحدث الكلامي كإشارة باليد أو حركة بالرأس أو بالعين ، وعبر عنه ابن جنّي بقوله :(. . . على غرض دلته عليه إشارة لا عبارة . . .) .

وكما تقدم فإن أية دراسة لغوية حديثة للكلام لابد أن تدرس أنواع النشاط أو السلوك غير الكلامي المصاحب للسلوك الكلامي وقد أدرك ابن جنّي هذا وتحدث عنه بعبارة واضحة المعنى وافيته ، يلحقها بقوله : ليس المُخبَر كالمعاين)[2]،لقد عدّ ابن جنّي السلوك غير الكلامي عنصراً أساسياً من عناصر الموقف الكلامي كله ومن أمثلته على هذا ما قاله الشاعر في تلك المرأة التي طلب منها الوقوف وهي على ظهر دابتها فيقول ابن جنّي : (قول الآخر: « قلنا لها قفي لنا قالت قاف »لو نقل إلينا هذا الشاعر شيئاً آخر من جملة الحال، فقال مع قوله « قالت قاف »: (وأمسكت بزمام بعيرها،أو(عاجته علينا) لكان

(١) ابن جنّي ،الخصائص ج ١ ص ٣٧١ .

(٢) ابن جنّي ،المصدر نفسه ج ١ ص ٢٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبين لما كانوا عليه ، وأدل على أنها أرادت : وقفت ، أو توقفت دون أن يظن أنها أرادت : قفي لنا ! أي يقول لي : قفي لنا ! متعجبة منه ، وهو إذ شاهدها وقد وقفت علم أن قولها (قاف) إجابة له ، لا ردّ لقوله وتعجب منه في قوله « قفي لنا ») [١].

فالإجابة بـ «قاف » السلوك الكلامي ، لكنها في رأي ابن جنّي لم تكن كافية في الإبانة عن المعنى أو الغرض ، وودّ لو أنه دعم بالسلوك غير الكلامي وهو « وأمسكت بزمام بعيرها » ، و (هذه الصورة أشبه ما تكون في أيامنا برفع الكوابح اليدوية للسيارة وشدّها للدلالة على وقوفها وضمان عدم تحركها)[٢].

ويحدثنا ابن جنّي عن انتماء العربي إلى لغته[٣] ، ومسألة الانتماء هذه إلى اللغة أو اللهجة تعد من المسائل الرئيسة في علم اللغة الاجتماعي، فقد أجريت حولها أبحاث ميدانية عديدة كان لها نتائجها المهمة في هذا العلم[٤].

ولنبدأ بحديث ابن جنّي إذ يقول : (واعلم أن العرب تختلف أحوالها في تلقي الواحد منهم لغة غيره ؛ فمنهم من يخف ويسرع إلى قبول ما يسمعه، ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتة، ومنهم من إذا طال تكرر لغة غيره عليه لصقت به) [٥] .

فعبارته (. . . فيقيم على لغته . . .) يعني بها لهجة قومه أو قبيلته - أو لغتهم على حد تعبيره - وقد تكون « القبيلة » مقابلاً لما يعبر عنه اليوم عند علماء علم اللغة الاجتماعي «بالطبقة » أو « الشبكة المغلقة » أو « المجموعة الكلامية » .

ويتنبه ابن جنّي إلى أن هناك مجموعة كلامية ينتمي إليها الأفراد ويدرك أن درجة الانتماء

---

(١) ابن جنّي ،الخصائص ج ١ ص ٢٤٥ .

(٢) عبد الكريم مجاهد ، الدلالة اللغوية عند العرب ص ١٦٢ ، دار الضياء عمان .

(٣) يستخدم ابن جنّي لفظ «اللغة» بمعنى «اللهجة» .

(٤)انظر هدسون ، علم اللغة الاجتماعي ص ٢٨٧ .

(٥) ابن جنّي، المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه قد تختلف أو تتباين فيما بينهم ؛ فمنهم من قد يخرج عن المعايير الكلامية لقبيلته أو مجموعته ، ومنهم من يرفض هذا الخروج البتة ، ويبقى خاضعاً للمعايير الكلامية السائدة في قبيلته ، فلا يجرؤ على هذا الخروج ، والتخلي عن أحد مقومات هويته .

وقد جاء في الخصائص ما نصه : (وحدثني أبو اسحاق إبراهيم بن أحمد عن أبي بكر محمد بن هرون الرّوياني عن أبي حاتم قال : قرأ عليّ أعرابي بالحرم : « طيبى لهم وحسن مآب» فقلت لهم : طوبى ، فقال : طيبى ، فقلت طوبى ، قال طيبى ، فلما طال علي قلت : طوطو ، فقال : طي طي) ، ويعلق ابن جنّي على هذه الرواية ويقول : (أفلا ترى إلى استعصام هذا الأعرابي بلغته وتركه متابعة أبي حاتم)[1] . أي رفضه تجاوز المعايير الكلامية التي التزمها وقبيلته ، لأنها ملمح من ملامح انتمائه إليها ، ووسيلة من وسائل الإبانة عن هويته ، ونوّد ألاّ نغفل سبباً آخر قد يكون وراء استعصام هذا الأعرابي بلهجته وهو أن لسانه قد نشأ على نطق هذه الكلمة بهذا الشكل واستقر عليه . فلم يقوَ على التعديل أو التبديل .

وفي رواية ثانية لابن جنّي في حديثه مع أبي عبد الله الشجري جاء فيها :(وسألته يوماً فقلت له : كيف تجمع دكاناً ؟ فقال : دكاكين ، فقلت : فسرحاناً؟ قال سراحين، قلت : فقرطاناً ؟ قال : قراطين ، قلت: فعثمان ؟ قال : عثمانون،فقلت له : هلاّ قلت ايضاً عثامين ؟ قال : أيْشِ عثامين[2] ، أرأيت إنساناً يتكلم بما ليس في لغته ، والله لا أقولها أبداً)[3]. لقد استنكر هذا الأعرابي أشد الاستنكار أن يغير شيئاً في المعايير الكلامية

---

(١) ابن جنّي ، الخصائص ج ١ ص ٣٨٧ .

(٢) (قال سيبويه : لا يكسّر (عثمان) لأنك إن كسرته أوجبت في تحقيره عُثَيْمين، وإنما نقول عثمانون فتسلّم كما يجب له في التحقير عثيمان. وإنما وجب له في التحقير ذلك لأنا لم نسمعهم قالوا عثامين، فحملنا تحقيره على باب غضبان لأن أكثر ما جاءت في آخره الألف والنون إنما هو على باب غضبان) لسان العرب مادة (عثم). وانظر سيبويه الكتاب ج ٣ ص ٤٠٦ .
واعلم أن كل اسم آخره الف ونون زائدتان وعدد حروفه كعدد حروف فَعْلان كُسّر للجمع على مثال مفاعيل، وذلك قولك في سرحان سراحين وفي ضبعان ضباعين ،وسلطان سلاطين. أنظر سيبويه الكتاب ج ٣ ص ٤٢٢ .

(٣) ابن جني ، المصدر السابق، ج ١ ص ٣٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للغته ، وأقسم أنه لن يقول شيئاً يخالف به ما اعتاده ونشأ عليه في قومه أو قبيلته .

وما اثبتته الأبحاث والدراسات في مجال علم اللغة الاجتماعي ، التي دارت حول انتماء المتحدث إلى مجموعة أن واحداً من أهم آثار الإنتماء إلى شبكات مغلقة هو أن الأفراد يتقيدون إلى درجة كبيرة بمعايير سلوكية لا تسمح بوجود قدر من التباين في سلوكهم ، أوحتى في طبيعة المعايير التي يقبلونها وأحد هذه المعايير السلوكية هو الالتزام بالمعايير الكلامية السائدة في الشبكة .

ومن هذه الدراسات التي أكدت هذه الرؤية دراسة الزوجين ميلروي ، فقد قاما بدراسة ثلاث جماعات من الطبقة العمالية الفقيرة ، وكانت معظم العائلات المشتركة من العائلات العمالية العادية التي غالباً ما تشكل « شبكة مغلقة » ***closed net work*** أي أن اتصالاتهم تبقى ضمن حدود أفراد الشبكة ولا تنطلق إلى خارجها ، وقد يؤثر ذلك على نوعية علاقاتهم إذ غالباً ما يرتبط السكان في المناطق العمالية التقليدية بعلاقات الصداقة والعمل وحسن الجوار والقرابة ، وتؤثر كل منها على العلاقات الأخرى فتقويها، وواحد من أهم آثارالإنتماء إلى مثل هذه الشبكات المغلقة هو أن الأفراد يتقيدون إلى درجة كبيرة بمعايير سلوكية جامدة لا تسمح بوجود قدر من التباين في سلوكهم أو حتى في طبيعة المعايير التي يقبلونها ، ولذا فالمتوقع أن تكون هناك درجة عالية نسبياً من الالتزام بالمعايير الكلامية والسلوكية السائدة ، وعلى عكس ذلك لا يتوقع من المتحدثين الذين لا ينتمون إلى شبكة مغلقة ، أو الذين ينتمون إلى شبكات لا تربطها إلا علاقات واهية سوى قدر ضئيل من الاتفاق بينهم على المعايير الكلامية الخاصة بالشبكات المغلقة ، وهذا ما ثبتت صحته من خلال النتائج التي خرجت بها الدراسة

---

(١) انظر هدسون ،علم اللغة الاجتماعي ص ٢٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المذكورة[١] ونعود لابن جنّي لنجد أن ما توصل إليه بشأن انتماء الفرد إلى مجموعته الكلامية يلتقي مع ما توصل إليه علماء علم اللغة الاجتماعي في عصرنا هذا، والذي مؤداه أن استخدام المتحدث لمتغير لغوي بعينه يعتمد على درجة انتمائه إلى مجموعته ، وعلى درجة تأثره بالمعايير السائدة في مجتمعه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

﴿ الفصل الثاني ﴾

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منهج التحليل اللغوي
الداخلي في الخصائص

معلوم أن منهج التحليل الداخلي عند اللغويين العرب أصل غالب، إذ نزعوا في تحليلهم وتفسيرهم المتغيرات اللغوية إلى الاعتماد على ظواهر لغوية محضة ،وقواعد لغوية ذاتية أطّرت تفكيرهم اللغوي .

وقد كانت معالم هذا المنهج التحليلي الداخلي واضحة ومتسقة عند ابن جنّي فيما وصلنا من مؤلفاته وخاصة كتاب الخصائص ، فهو يمدنا بكمٍ لا بأس به من صور هذا التحليل الداخلي سواء أكان في الأصوات أم في الأبنية ، أم في الأعاريب ، أم في التراكيب ، وسيعمد البحث إلى ايراد بعض هذه الصور على سبيل التمثيل لا الحصر .

أولاً: الأصوات :-

لا غرو أن ابن جنّي كان من أبرز من درس الجانب الصوتي في لغتنا العربية ، وربما السابق إلى وضع نظريات عديدة في علم الأصوات ، ما برح العصر الحديث يعتمد عليها ، وقد عدّه بعض المحدثين (أستاذ هذا العلم بلا منازع) [1]

وإلى جانب إفاضته في دراسة الأصوات في كتابه (سر صناعة الإعراب)، فقد خصص أبواباً عديدة في الخصائص تتناول المسائل الصوتية درساً وتحليلاً ، وثمة أمثلة كثيرة تميط اللثام عن منهجه في التحليل الداخلي برزت في تحليله الظواهر الصرفية التي تعرض للصوت مفرداً أو مدرجاً في الكلمة أو في الجملة، وفيما يلي بعض هذه الأمثلة :

---

(١) عبده الراجحي ،فقه اللغه في الكتب العربية ، ص ١٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ) - يحدثنا ابن جنّي عن ظاهرة قلب الحروف " الأصوات " وهي صورة من التكيف تفرضها البيئة البنائية أو التركيبية الداخلية للكلمة أو الجملة ، ففي حديثه مثلا عن ظاهرة التصغير ، يرى ابن جنّي أن إخضاع كلمة لظاهرة التصغير يقتضينا قلب حرفٍ من حروفها حرفاً آخر يتناسب والبناء الجديد الذي طرأ على الكلمة ، ومن قوله في هذا : (قلب الألف واواً للضمة قبلها . . .نحو قولك في سائر - سويئر ، وفي ضارب - ضويرب) [١]، فالضمة الطارئة على فاء الكلمة أو جبت قلب الألف واواً ، ومنه ايضا (قلب الألف ياء للكسرة قبلها . . . .نحو تحقير قرطاس وتكسيره - قريطيس ، وقراطيس ، فهذا ونحو مما لا بدّ منه ، من قبل أنه ليس في القوة ، ولا احتمال الطبيعة، وقوع الألف المدة الساكنة بعد الكسرة ولا الفتحة ، فقلب الألف على هذا الحدّ علته الكسرة والضمة قبلها) [٢].

فمؤدى عبارته في تفسير هذا القلب أو تعليله : أن خضوع الكلمة لقاعدة التصغير تبعه استجابة بنائية تكيفية داخلية للكلمة هدفها استقرار الكلمة في شكل سهل أداؤه .

ب)- وموضع ثانٍ يعلل ابن جنّي فيه سبب امتناع اجتماع ألفين مدتين يقول فيه: (ومن المستحيل جمعك بين الألفين المدتين ، نحو ما صار إليه قلب لام كساء ونحوه قبل إبدال الألف همزة ، وهو خطأ كساأ ، أو قضاا ، فهذا تتوهمه تقديراً ولا تلفظ به البتة) . وكعادة ابن جنّي يحتاط لتأكيد رؤيته بكل وسيلة ، فيورد حكاية جاء فيها :

(قال أبو اسحاق يوماً لخصم نازعه في جواز اجتماع الألفين المدتين - ومدّ الرجل الألف في نحو هذا ، وأطال - فقال له أبو اسحاق : لو مددتها إلى العصر ما كانت

---

(١) ابن جنّي ، الخصائص ، ج ١ ص ٨٨ .

(٢) ابن جنّي ، المصدر نفسه ، ج ١ ص ٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلا ألفاً واحدة)[١]. في حين يبدو أن سيبويه يجيز الجمع بين الألفين المدتين ، إذ يقول في حديثه عن توكيد المسند إلى ألف الاثنين أو نون النسوة بنون التوكيد الخفيفة ما نصه :(فيقال عندهم اضربان زيداً ، واضربنان زيداً ، قال ويقولون في الوقف اضربا واضربنا فيمدون وهو قياس قولهم لأنها تصير ألفا ، فإذا اجتمعت ألفان مُدّ الحرف) [٢] فجملته الأخيرة هذه تشير إلى تجويزه هذا الاجتماع للألفين .

ونعود إلى ابن جنّي، أما تفسير قوله: (وهو خطأ كسا) . فيعني به :(أن الحرف اللين تحرك وانفتح ما قبله ، لأن الألف حاجز غير حصين فانقلب الفاً) [٣] فكانت «كسا » ، ثم قلبت الألف همزة .

وأما عن سبب المنع هذا عند ابن جنّي فيرجعه إلى طبيعة الظرف الصوتي الذي ترد فيه الألف فيقول :(وعلة امتناع ذلك عندي أنه قد ثبت أن الألف لا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً ؛ فلو التقت الفان مدتان لانتقضت القضية في ذلك ؛ ألا ترى أن الألف الأولى قبل الثانية ساكنة ، وإذا كان ما قبل الثانية ساكنا كان ذلك نقضا في الشرط لا محالة) [٤].

فهو إذن يحتكم إلى البناء الداخلي للكلمة ، وينظر مدى واقعيته أو صدقه من حيث التعامل معه أو النطق به ، وعليه يقرر ، فمتى قبل الحسّ هذا البناء ، واحتمل الطبع النطق به أجازه، وإلا كان الرفض لكل ما يأباه الحسّ ولا يحتمله الطبع .

ج) -ولا يفوته الانتباه إلى الحالات التي يكون عليها الصوت اللغوي تبعاً للظرف

---

(١) ابن جنّي ، الخصائص ، ج ١ ص ٨٩ .

(٢)انظر سيبويه ، الكتاب ج ٣ ،ص٥٢٧ .

(٣) ابن عقيل المساعد على تسهيل الفوائد ، ج ٤ ، ص ٨٨ تحقيق محمود كامل بركات ، دار الفكر دمشق ١٩٨٠ .

(٤) ابن جنّي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللغوي الذي يكتنفه ، فحاله موقوفاً عليه تختلف عن حاله مدرجاً إلى ما بعده مثلاً ، لأن البيئة الصوتية التي تحيطه تؤثر فيه ، ومن ذلك :(أن الحرف الساكن ليست حاله إذا أدرجته إلى ما بعده كحاله لو وقفت عليه ، وذلك لأن من الحروف حروفاً إذا وقفت عليها لحقها صويت مّا من بعدها ، فإذا أدرجتها إلى ما بعدها ضعف ذلك الصويت وتضاءل للحسّ ؛ نحو قولك :اِح ، اِص ، اِث ، اِف ، اِخ ، اِك ، فإذا قلت : يحرد ، ويصبر ، ويسلم ، ويثرد ، ويفتح ، ويخرج ، خفي ذلك الصويت وقلّ ، وخفّ ما كان له من الجِرْس عند الوقوف عليه) [١].

وقد سبق أن تناول سيبويه هذه المسألة التي أشار إليها ابن جنّي ، ومما عرض له في هذا الأمر قوله : ﴿ واعلم أن من الحروف حروفا مُشْربة ضغطت من مواضعها ، فإذا وقفتَ خرج معها من الفم صُويت ، ونبا اللسان عن موضعه ، وهي حروف القلقلة . . .وذلك القاف ، والجيم ، والطاء ، والدال ، والباء والدليل على ذلك أنك تقول : (الحِذْقْ فلا تستطيع أن تقف إلا مع الصويت ، لشدّة ضغط الحرف . . .ومن الحروف حروف إذا وقفْت عندها خرج معها نحو النفخة . . . .واعلم أن هذه الحروف التي يسمع معها الصوت والنفخة في الوقف ، لا يكونان فيهن في الوصل إذا سكنّ ؛ لأنك لا تنتظر أن ينْبوَ لسانك ؛ ولا يفْتُر الصوت حتى تبتديء صوتاً) [٢].

أما ابن جنّي فيعلل هذه الظاهرة بقوله : (وسبب ذلك عندي أنك إذا وقفت عليه ولم تتطاول إلى النطق بحرف آخر من بعده تلبثت عليه ، ولم تسرع الانتقال عنه ، فقدرت بتلك اللّبثة ، على اتباع ذلك الصوت ، فأما إذا تأهبت للنطق بما بعده ، وتهيأت له ، ونشمت فيه ، فقد حال ذلك بينك وبين الوقفة التي يُتمكن فيها من اشباع

(١) ابن جنّي ، الخصائص ، ج ١ ص ٥٧ .

(٢) سيبويه ، الكتاب ، ج ٤ ، ص١٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك الصويت ، فيستهلك إدراجك إياه طرفا من الصوت الذي كان الوقف يقرّه ويسوغك إمدادك إياه به) [١].

ونلاحظ أن مؤدى التعليلين واحد ، وإن كان ابن جنّي أوفر تحليلا وأوضح تعليلاً فكلاهما يذهب إلى أن إشغال اللسان بنطق حرف أو صوت يلي ذلك الصوت - صاحب الصويت - يضيع فرصة ظهور هذا الصويت أو تلك النفخة ، وإذا لم ينشغل اللسان بسوى ذلك الصوت أفسح المجال لاتباعه بالصويت المشار إليه.

ولا أدري لم صدّر ابن جنّي تعليله ذاك المتقدم بقوله : (وسبب ذلك عندي) .

اذ أُلِف أنه يستخدم هذه العبارة حين ينفرد برؤية ما ، ولكن لعل الأمر في هذا يعود إلى زيادة في التفصيل والتوضيح عما ورد عند سيبويه في هذه المسألة .

وعلى أي حال فإن ما تعرض له سيبويه وابن جنّي في هذه المسألة هو ما يعرف الآن بـ (الصوت في الكلام) [٢]، ذلك أن للأصوات فيما بينها «نحوا » خاصاً : إن علاقاتها تحكمها قواعد وأصول معينة ، فتجد أن الصوت الفلاني يدغم في الأصوات الفلآنية في مواضع معينة أو ينقلب صوتاً جديداً إذا وقع في « سياق صوتي » معين ، ونجد أن صوتاً ثالثاً يحذف إذا توفر فيه وفيما يجاوره من أصوات شروط معينة) [٣].

د) ـ وعدد الحركات عند ابن جنّي ست حركات لا ثلاث ففي حين تعارف الناس على الضمة والكسرة والفتحة ، يضيف هو ثلاثة أخر ، ويبينها بقوله : أما ما في أيدي الناس في ظاهر الأمر فثلاث ، وهي الضمة والكسرة والفتحة ،ومحصولها على الحقيقة ستّ، وذلك أن بين كل حركتين حركه، فالتي بين الفتحة والكسرة هي الفتحة قبل

(١) ابن جنّي ، الخصائص ، ج ١ ص ٥٧ .

(٢) عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية ، ص ١٣٩ .

(٣) محمود السعران ، علم اللغة ، ص ٢٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الألف الممالة ؛ نحو فتحة عين عالم وكاف كاتب ، فهذه حركة بين الفتحة والكسرة، كما أن الألف التي بعدها بين الألف والياء ، والتي بين الفتحة والضمة هي التي قبل ألف التفخيم؛ فتحة لام الصلاة والزكاة والحياة ، وكذلك ألف قام وعاد ، والتي بين الكسرة والضمة، ككسرة قاف قيل وسين سير . . ويستشهد ابن جنّي بسيبويه كي يؤكد صحة ما أضافه من الحركات فيقول : (ويدلك على أن هذه الحركات معتدّات اعتداد سيبويه بألف الإمالة وألف التفخيم حرفين غير الألف المفتوح ما قبلها) [١]،وفعلاً لقد أفرد سيبويه في كتابه باباً سماه (باب ما تمال فيه الألفات) تحدث فيه طويلا عن مواضع إمالة الألف، ومنه مثلاً قوله: (فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور ، وذلك قولك: عَابِد، وعَالِم، ومساجِد . . . وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها ، أرادوا أن يقربوها منها. . .) [٢] ويرفض بعض اللغويين المحدثين الإقرار بوجود الحركات الثلاثة التي أضافها ابن جنّي، ومما قيل : (أن ابن جنّي توهم أن هناك فتحة ممالة نحو الضمة قبل ألف التفخيم في كلمة «الصلاة» وعدها نوعا فرعياً من أنواع الفتحة)[٣].

وأما عن الكسرة المشمة ضماً ككسرة قاف قيل وسين سير ، فقد قيل إنها (ياء المدّ الممالة نحو الضم ، وذلك هو ما سماه النحاه بالإشمام حين ينطق بعض العرب بالفعل المبني للمجهول في مثل قيل وبيع) [٤].ويرى إبراهيم أنيس أن هذه الحركات الثلاثة الإضافية إنما هي أنواع فرعية لأصوات اللين ، ويبدو أنها كانت شائعة في اللهجات العربية القديمة ، وإن لم ينسبها ابن جنّي لقبائلها من سوء الحظ [٥].

---

(١) ابن جنّي ، الخصائص ، ج ٣ ص ١٢٠ .

(٢) سيبويه، الكتاب ج ٤ ، ص ١١٧ .

(٣) ابراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص ٣٩ ، مكتبة الأنجلو المصرية ط (٥) . ١٩٧٩ .

(٤) ابراهيم انيس ،المرجع نفسه ص ٤٠ .

(٥) أنظر ابراهيم أنيس ، المرجع نفسه ص ١٧٨ ، ٢٠٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن النظرة التحليلية الناقدة المتفحصة لبنية اللغة الداخلية التي يتمتع بها ابن جنّي قد أسلمته إلى الإحساس بهذه الحركات الثلاثة التي أضافها إلى حركة الفتحة والضمة والكسرة ، وهي فعلياً موجودة بدليل عناية القراءات القرآنية بها ، وإنما الاختلاف فيها اختلاف تسمية ، فما رآه ابن جنّي حركات قائمة بذاتها ، رآه غيره أنواعاً فرعية لأصوات اللين .

ويقول ابن الجزري في كتابه « النشر في القراءات العشر » :والإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة . . والإمالة لغة مشهورة فاشية على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم [١] .

هـ) - واعتنى ابن جنّي في خصائصه بالمتغيرات الصوتية التي تعرض للصوت نتيجة احتكامه إلى السياق اللغوي الخاضع له ، ومن هذه التغيرات ما يسمى اليوم بظاهرة المماثلة ، وهي التي سماها سيبويه ومن جاء بعده بالمضارعة حيناً وبالمماثلة حينا آخر ، فالأصوات اللغوية تتأثر بعضها ببعض ، بهدف ايجاد نوع من المماثلة أو المشابهة بينها ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج [٢]. وأمثلة عديدة يعرضها ابن جنّي موضحا ظاهرة التقريب هذه ومنها قوله :(ومن ذلك تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق ؛ نحو شِعِير ، وبِعِير ،ورِغِيف ، وسمعت الشجري غير مرة يقول : زِئِير الأسد يريد الزَئير) [٣]، فكأن القائل قد عمد إلى كسر فاء الكلمة لتقريبها من عينها المكسورة بحكم الياء التي تليها .

---

(١) انظر ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ج ٢ ص ٣٠ دار الفكر للطباعة والنشر .

(٢) انظر ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ، ص ٤٠ .

(٣) ابن جنّي ، الخصائص ، ج ٢ ص ١٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا : الأبنية :-

ويحلل ابن جني أبنية الكلم وينفذ من عمق إلى عمق ، تحليلاً وتعليلاً، ويزخر الخصائص بالأمثلة المتنوعة التي يتمثل فيها هذا التحليل الداخلي ومنها :

أ) ففي باب تراجع الأحكام يستهل ابن جنّي حديثه بقوله : (هذا موضع في العربية لطيف ، لم أرَ لأحد من أصحابنا فيه رسمًا ، ولا نقلوا إلينا فيه ذكرا ، من ذلك مذهب العرب في تكسير ما كان من «فَعَل »على «أفعال » ؛ نحو علم وأعلام ، وقدم وأقدام ..... قال سيبويه : فإن كان على «فَعَلة » كسروه على « أفْعُل » ؛ نحو « أكَمَة وآكم »[1]، ولم يعلل سيبويه قوله هذا ، كما يقول ابن جنّي ، وعمد ابن جنّي إلى توضيح السبب الذي كان وراء تكسير « فَعَلة » على « أفعُل » وهو : (والقول فيه عندي أن حركة العين قد عاقبت في بعض المواضع تاء التأنيث ، وذلك في الأدواء ؛ نحو قولهم : رَمِث رَمَثاً ، وحَبِط حَبَطاً ..... فإذا ألحقوا التاء أسكنوا العين ؛ فقالوا: حفِل حَفْلة ، وفعَل فَعْلة ، فقد ترى إلى معاقبة حركة العين تاء التأنيث ، ومن ذلك قولهم : جَفْنة وجفَنات ، وقَصعْة و قصَعات ؛ لما حذفوا التاء حركوا العين.

فلما تعاقبت التاء وحركة العين جريا لذلك مَجْرى الضدين المتعاقبين، فلما اجتمعا في « فَعَلة » ترافعا احكامهما، فاسقطت التاء حكم الحركة، واسقطت الحركة حكم التاء، فآل الأمر بالمثال إلى أن صار كأنه فَعْل ، و« فَعْل » باب تكسيره « أفْعُل »)[2].

ب) ويضيف ابن جنّي سبباً آخر يراه في حذف ياء (حنيفة) و (بجيلة) عند النسب إلى ما ذكره النحاة فيقول : ومن ذلك أنا قد رأينا تاء التأنيث تعاقب ياء المد

---

(١) ابن جنّي ، الخصائص ، ج ٢ ص ١٠٨ .

(٢) ابن جنّي ، المصدر نفسه ، ج ٢ ص ١٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذلك نحو فرازين وفرازنة ، وجحاجح جحاجحة . . . . فلما نسبوا إلى نحو حنيفة وبجيلة ، تصوروا ذلك الحديث ايضا ، فترافعت التاء والياء أحكامه ، فصارت حنيفة وبجيلة ، إلى كأنهما حَنَف ، وبَجِل ، فجريا بذلك مجرى شَقِر ونَمِر ؛ فكما تقول فيهما : شقَرِيّ و نَمرِيّ ، كذلك قلت أيضا في حنيفة : حنفيّ ، وفي بجيلة بجليّ ، ويؤكد ذلك عندك أنه إذا لم يكن هناك تاء كان القياس إقرار الياء ؛ كقولهم في حنيف: حنيفيّ وفي سعيد سعيديّ . . . . . فهذا طريق آخر من الحجاج في باب حنفيّ وبجليّ، مضاف إلى ما يحتج به أصحابنا في حذف تلك الياء) [١].

ويقول ابن يعيش في هذا الموضع : (أما حذف التاء فعلى الجادة ، وأما حذف الياء فلأنها في نفسها مستثقلة مع كونها زائدة ، وقد حصل في الكلمة أسباب أوجبت ثقلها وهو أنه اجتمع فيها ياء فعيلة مع كسر ما قبل علم النسبة وياء ي النسبة وكل ذلك من جنس واحد فاستثقل اجتماعهما ، والنسب باب تغيير فحذفوا الياء تخفيفا) [٢].

جليّ لدينا الإطار الذي يتحرك فيه ابن جنّي في البحث والتأمل داخل بناء الكلمة ؛ فهو يبحث عن الأصل ويتدرج في التغيرات التي قد تطرأ على الكلمة ، محللاً ومعللاً كل تغيير ، ومدعما له بالأمثلة إلى أن يصل إلى صورة البناء النهائي للكلمة .

نرى في المثال الأول كيف تنبه ابن جني إلى التغير الذي قد يطرأ أولا على « فَعَله » حتى تقترب من بناء « فَعْل » ، فوجده يكمن في حذف التاء ، ثم يمعن التفكير في مسوّغ هذا الحذف ، فوجده فيما يسمى التعاقب ، بين التاء وسكون العين ، ثم أسعفه ما يسمى بترافع الأحكام ، وسار ينتقل من تغيير إلى مسوغ إلى تعليل إلى مثال داخل

---

(١) ابن جنّي ، الخصائص ، ج ٢ ص ١٠٩ .

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل ، ج ٥ ، ص ١٤٦ ، علم الكتب بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بناء الكلمة حتى يصل بها إلى صورتها المستقرة عليها .

ج) -وتسلمه نظرته التحليلية الداخلية لبناء الألفاظ إلى رؤى جديدة تضاف الى ما قاله النحاة ، من ذلك ما قيل في لفظ (اليمي) الوارد في قول الشاعر:

*مروان مروان أخو اليوم اليَمي * [١]

يقدم ابن جني قولي النحاة قبل الإدلاء برأيه فيقول : (فيه قولان أحدهما أنه أراد: أخو اليوم السهلِ اليومُ الصعب ، يقال يوم أيْوَم ، ويَوِم ، كأشعث وشعث، فقلب فصار « يَمِوٌ » فانقلبت العين لإنكسار ما قبلها ، طرفاً . والآخر أنه أراد : أخو اليوم اليَوْم ، كما يقال عند الشدة والأمر العظيم : اليومُ اليومُ ، فقلب فصار « اليَمْوُ » ثم نقله من فَعْل الى فَعِل . . . . فلما انكسر ما قبل الواو قلبت ياء فصار اليَمي) [٢]

ويورد سيبويه المسألة هذه لكنه يكتفي بقوله:(وإنما أراد اليَومُ ،فاضطر إلى هذا) [٣] لكن ابن جنّي يورد رأيه الخاص ويفصل فيه تفصيلاً دقيقاً عندما يقول : (ويجوز عندي فيه وجه ثالث لم يُقل به ، وهو أن يكون أصله على ما قيل في المذهب الثاني : أخو اليوم اليوم ، ثم قلب فصار « اليَمْوُ » ثم نقلت الضمة الى الميم على حدّ قولك : هذا بَكُرْ ، فصارت اليَموُ ، فلما وقعت الواو طرفا بعد ضمة في الاسم أبدلوا من الضمة كسرة . ثم من الواو ياء ، فصارت اليَمي ، كأحقٍ وأدْلٍ . فإن قيل : هلا لم تستنكر الواو هنا بعد الضمة لما لم تكن الضّمة لازمة ، قيل : هذا وإن كان على ما ذكرته فإنهم قد أجروه في هذا مجرى اللازم ؛ ألا تراهم يقولون على هذه اللغة : هذه هِنِدْ ، ومررت بجُمُل لئلا يصيروا في الأسماء إلى لفظ فِعُل ، فكما أجروا النقل في هذين الموضعين مجرى اللازم فكذلك يجوز أن يجري اليَمُو مجرى (أدلُوٍ وأحْقوٍ) فيغيّر كما غُيرا ، فقيل « اليَمي » حملاً على الأدلى والأحْقي » [٤]

(١)ابو الأخرز الحماني ،لسان العرب مادة (كرم) .

(٢) ابن جنّي ، الخصائص ، ج٢ ص ٧٦ .

(٣) سيبويه ، الكتاب ، ج ٤ ص ٣٨٠ .

(٤) ابن جنّي ، المصدر نفسه ، ج ٢ص ٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نلاحظ كيف يحاول ابن جنّي أن يستقصي ما يدور حول المسألة من تساؤلات فيجيب عليها حتى يخلص بالقاريء إلى سداد ما ذهب اليه .

ثالثاً : الأعاريب :-

ويذهب ابن جنّي في تحليله الموضع الاعرابي لبعض الألفاظ مذاهب يخالف بها القوم - على حد تعبيره ومن هذا الباب ما يأتي :

أ) فبناء على تحليله للبناء الداخلي للآية الكريمة : ﴿ فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ [١] يرى في إعراب « يعقوب » رأياً آخر يضاف إلى ما رآه غيره ؛ فقد (قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي « يعقوب » بالرفع على الإبتداء والخبر مقدم . . . . وقالت فرقة رفعه على القطع بمعنى : ومن وراء اسحاق يحدث يعقوب . . . . وقرأ ابن عامر وحمزة « يعقوب » بالنصب من باب جعله معطوفا على إسحق إلا أنه لم يتصرف . . . وسيبويه لا يجيز هذا إلا على إعادة حرف الجر ، وهو كما تقول : مررت بزيد اليوم وأمس عمرو، فالوجه عنده : وأمس بعمرو [٢] ويرجح الطبري قراءة نافع بالرفع قائلا : (وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأ رفعا لأن ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب والذي لا يتناكره أهل العلم بالعربية) [٣]

أما ابن جنّي فيقول : (جعلت «يعقوب » في موضع جر ، وعليه تلقاه القوم من أنه مجرور الموضع) ويصعب عنده الأخذ بهذا الرأي (من قبل أن حرف العطف منها الذي هو الواو ناب عن الجار والمجرور الذي هو الباء في قوله « بإسحاق » ، وأقوى

---

(١) آية ٧١ سورة هود.

(٢) انظر ابن عطية الاندلسي ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ٩ ص ١٨٧ . تحقيق المجلس العلمي بفاس ١٩٨٢ .

(٣) ابن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن ، المجلد السابع ، ج ١٢ ص ٤٦ ، دار الباز للنشر ، مكه المكرمة ط (٣) ١٩٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحوال حرف العطف أن يكون في قوة العامل قبله ، وأن يلي من العمل ما كان الأول يليه ، والجار لا يجوز فصله من مجروره ، وهو في الآية قد فصل بين الواو ويعقوب بقوله (ومن وراء إسحاق)، والفصل بين الجار والمجرور لا يجوز . . . والأحسن عندي في « يعقوب » . . فيمن فتح أن يكون في موضع نصب بفعل مضمر دلّ عليه (فبشرناها بإسحاق) أي وآتيناها يعقوب ، فإن فعلت ذلك لم يكن فيه فصل بين الجار والمجرور) [١].

ب) ويهديه تحليله الداخلي للكلم الى وجوه إعراب أخرى تضاف إلى ما قاله النحاة، ففي تقديم المعطوف على المعطوف عليه في نحو قول الشاعر :

*** ألا يا نخلة من ذات عرق عليك ورحمة الله السلام *** [٢]

جاء في المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل تعليقا على هذا البيت الشعري ما نصه : (وقد يقدم المعطوف بالواو للضرورة نحو ألا يا نخلة من ذات عرق . . .) [٣] أما ابن جنّي فيقول : (فحملته الجماعة على هذا حتى كأنه عندها: عليك السلام ورحمة الله، وهذا وجه، إلا أن عندي فيه وجهاً لا تقديم فيه ولا تأخير من قبل العطف، وهو أن يكون « رحمةَ الله » معطوفاً على الضمير في عليك ، وذلك أن (السلام) مرفوع بالابتداء ، وخبره مقدم عليه ، وهو (عليك) ففيه إذاً ضمير منه مرفوع بالظرف ، فإذا عطفت (رحمة الله) عليه ذهب عنك مكروه التقديم ، ولكن فيه العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير توكيد له ، وهذا أسهل عندي من تقديم المعطوف على المعطوف عليه) [٤].

(١) ابن جنّي ، الخصائص ، ج ٢ ص ٣٩٥ ، ص ٣٩٧ .

(٢) البيت لا يعرف قائله، وقيل للأحوص، البغدادي، الخزانة، ج١ / ١٩٣ تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة ١٩٧٩ .

(٣) ابن عقيل ، المساعد على تسهيل الفوائد ، ج ٢ ص ٤٧٧ . تحقيق محمد كامل بركات دار الفكر دمشق ط(١) ١٩٨٢

(٤) ابن جنّي ، الخصائص ، ج ٢ ص ٣٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج) -وتحت عنوان (باب في اقتضاء الموضع لك لفظاً، هو معك إلا أنه ليس بصاحبك) يتناول ابن جنّي مثالا يوضح فيه ما قد يحدث فيه من التباس في الحركات الاعرابية فيقول : (ومن ذلك قولك : مررت بغلامي ، فالميم موضع جرةَ الإعراب المستحقة بالباء ، والكسرة فيها ليست الموجبة بحرف الجر ، إنما هذه هي التي تصحب ياء المتكلم في الصحيح ؛ نحو هذا غلامي ، ورأيت غلامي ؛ فثباتها في الرفع والنصب يؤذنك أنها ليست كسرة الإعراب وإن كانت بلفظها) [١].

وقد اختلفت الآراء حول هذه الكسرة (فذهب قوم إلى أنها حركة بناء وليست إعراباً لأنها لم تحدث بعامل وإنما حدوثها عن علة وهو وقوع ياء النّفس بعدها ولذلك لا تختلف باختلاف العوامل)[٢].

ويقول ابن هشام في هذه الكسرة :("ومررت بغلامي " فتكون علامة جره كسرة مقدرة على ما قبل الياء ، لأن هذه الكسرة الموجودة كما زعم ابن مالك ، فإنها كسرة المناسبة ، وهي مستحقة قبل التركيب ، وإنما دخل عامل الجر بعد استقرارها) [٣].

ويتخذ ابن جنّي مذهبا وسطاً بين الرأيين ، ففي حين يرى بعضهم أنها حركة بناء ، أو أنها حركة المناسبة ، يرى ابن جنّي أن لها حكما بين حكمين وليست إعراباً ولا بناء [٤] ، وليست إعرابا لأنها تلزم الاسم سواء أكان مرفوعاً أم منصوباً أم مجروراً ، وليست بناء لأنه لا يوجد في الكلمة شيء من أسباب البناء كمشابهة الحرف أو تضمن معناه أو وقوعها موقع الفعل المبني .

---

(١) ابن جنّي ، الخصائص ، ج٣ ص ٥٦ .

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل ، ج ٣ ، ص ٣٢ .

(٣) ابن هشام ، شرح شذور الذهب ،ص ٦٤ دار الفكر .

(٤) انظر السيوطي، جمع الهوامع ج ١ ص ١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعا : التراكيب : -

أ)- ومن التراكيب التي تناولها اللغويون بالتحليل والتعليل قولهم : (هذا جحر ضبٍّ خربٍ) ، ومنهم ابن جنّي الذي تفرد برأي في تفسيره هذا التركيب ، خالف فيه اللغويين .

يعلق ابن جنّي على هذا التركيب قبل افصاحه عن تعليله فيقول :

(فما جاز خلاف الإجماع الواقع فيه منذ بديء هذا العلم وإلى آخر هذا الوقت ، ما رأيته أنا في قولهم : هذا جحر ضبٍّ خربٍ ، ولا يختلفون فيه ولا يتوقفون عنه ، وأنه من الشاذ الذي لا يحمل عليه ، ولا يجوز رد غيره إليه) [1].

فسيبويه يقول فيه : (ومما جرى نعتا على غيره وجه الكلام : « هذا حُجْرُ ضبٍ خربٍ » فالوجه الرفع ، وهو كلام أكثر العرب وأفصحهم ، وهو القياس ، لأن الخرب نعت الحُجر والحُجر رفعٌ ، ولكن بعض العرب يجرّه ، وليس بنعتٍ للضبّ ولكنه نعت للذي أضيف إلى الضبّ، فجروه لأنه نكرة كالضب ، ولأنه في موضع يقع فيه نعت الضب ، ولأنه صار هو والضب بمنزلة اسم واحدٍ .

ألا ترى أنك تقول : هذا حبّ رمانٍ ، فإذا كان لك قلت : هذا حبّ رماني ، فأضفت الرمان إليك ، وليس لك الرمان إنما لك الحب . . . . فكذلك يقع على جحر ضب ما يقع على حب رمان ، تقول هذا جحر ضبٍّ ، وليس لك الضب إنما لك جحر ضب . . . والجحر والضب بمنزلة اسم مفرد ، فانجر الخربُ على الضب كما أضفت الجحر إليك مع إضافة الضب) [2].

---

(١) ابن جنّي ، الخصائص ، ج ١ ص ١٩١ .

(٢) سيبويه ، الكتاب ج ١ ص ٤٣٦ ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فسيبويه إذاً يرى أن التركيب لم يأت والوجه الذي عليه كلام العرب ، ويذهب إلى أن كلمة « خرب » هنا مجرورة على الجوار لضب لأنه كان ينبغي أن ترفع ، فهي صفة لجحر .

وجاء في شرح الكافية الشافية : (. . النعت الذي يسميه النحويون نعتاً على الجوار نحو قولهم : (هذا جحرُ ضبٍّ خربٍ) فخفض « خرب » لأنه نعت (ضب) في اللفظ لمجاورته له ، وإنما هو في المعنى للجحر ، ولا يفعل مثل هذا إلا إذا أمن اللَّبس) [١].

وفي شذور الذهب لابن هشام ورد في المسألة ما نصه : (ثم قلت : الثالث المجرور للمجاورة ، وهو شاذ نحو « هذا جحر ضب خرب » . . . روي بخفض «خرب » لمجاورته لضب ، وإنما كان حقه الرفع لأنه صفة للمرفوع ، وهو الجحر ، وعلى الرفع أكثر العرب)[٢].

وبعد، فسيبويه يرى أن التركيب على غير وجه الكلام عند العرب، وابن مالك يجوزه إذا أمن اللبس ، وابن هشام يخرجه على الشذوذ في حين يذهب ابن جنّي إلى أن في القرآن الكريم مثل هذا التركيب نيّفاً على ألف موضع، ونص حديثه في هذا: (وأما أنا فعندي أن في القرآن مثل هذا الموقع نيفاً على ألف موضع،وذلك أنه على حذف المضاف لا غير) [٣]. فيرفض تخطئة التركيب أو جعله شاذاً ، بدليل وروده في القرآن الكريم كثيرا ونتابعه يفصل المسألة ، فيقول :(وتلخيص هذا أن أصله : هذا جحر ضبٍ خربٍ جحره ؛ فيجري « خرب » وصفاً على «ضب » وإن كان في الحقيقة للجحر ، كما تقول مررت برجل قائم أبوه ، فتجري « قائما » وصفا على « رجل »

(١) ابن مالك شرح الكافية الشافية ، ج ٣ ص ١١٦٧ . تحقيق عبد المنعم هريدي. دار المامون للتراث.

(٢) ابن هشام ، شرح شذور الذهب ، ص ٣٣٠ . دار الفكر

(٣) ابن جنّي ، الخصائص ، ج ١ ص ١٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإن كان القيام للأب لا للرجل ، لما ضمن من ذكره ، والأمر في هذا أظهر من أن يؤتي بمثال له أو شاهد عليه فلما كان أصله كذلك حُذِف الجحُر المضاف إلى الهاء ، وأقيمت الهاء مقامه فارتفعت ؛ لأن المضاف المحذوف كان مرفوعاً ، فلما ارتفعت استتر الضمير المرفوع في نفس « خربِ » فجرى وصفاً على ضب- وإن كان الخراب للجحر لا للضب - على تقدير حذف المضاف) [١].

وما ذهب إليه ابن جنّي حسن ؛ ذلك أنه متى وجد للمسألة اللغوية تخريج يجري والنظام اللغوي كان ذلك أفضل من نعتها بالغلط أو الشاذ ورفضها ،وهكذا يرينا ابن جنّي كيف استقام هذا التركيب على هذه الصورة ، وكأن تفاعلا كيميائيا قد جرى بين مفرداته أسفر عن تركيب لغوي خطأه الإجماع وصوبه ابن جنّي حين احتكم إلى الظواهر اللغوية والمتغيرات داخل التركيب اللغوي نفسه .

ب) ومن القضايا التي خالف فيها ابن جنّي جمهور النحاة أنه جوّز تقديم المفعول معه على المعمول قبله نحو قولك : جاء والطيالسةَ البردُ ، واستشهد على هذا بقول الشاعر [٢].

جمعت وفحشاً غيبة ونميمة ثلاث خصال لست عنها بمرعو

ولكن ابن الحاجب يقول في الكافية في النحو : (وجوّز أبو الفتح تقدمه على المعمول المصاحب تمسكاً بقول الشاعر : جمعت وفحشاً . . . . والأولى المنع رعاية لأصل الواو ، والشعر ضرورة) [٣].

---

(١) ابن جنّي، الخصائص، ج١ ، ص ١٩٢ .

(٢) الشاعر يزيد الحكم، الخزانة ، ج ١ ص ٤٩٦ .

(٣) ابن الحاجب، الكافية في النحو ، ج ١ ص ١٩٥ . شرح الشيخ رضي الدين الاستراباذي ، دار الكتب العلميه ، بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما ابن عقيل فيقول : (فلا يجوز استوى والخشبةَ الماءُ) [١] ، ذلك أن " الواو " عندهم (كالهمزة المعدّية ، فتلزم موضعا واحداً مثلها وقوله جمعت وفحشا . . . .من باب العطف ،وبه وجّهه أكثر النحويين) [٢].

وابن مالك يؤكد مخالفته رأي ابن جنّي حين يقول معلقاً على احتجاج ابن جنّي بالبيت الشعري السابق ذكره : (ولا حجة لابن جنّي في البيت لإمكان جعل الواو فيه عاطفة قدمت هي ومعطوفها) [٣].

وقد يكون وضوح المعنى وعدم حدوث اللّبس فيه مسوغا لقبول رأي ابن جنّي في (جاء والطيالسةَ البردُ) .

(١) ابن عقيل ، المساعد على تسهيل الفوائد ، ج ١ ص ٥٤١ .

(٢) ابن عقيل ، االمرجع نفسه ، ج ١ ، ص ٥٤١ .

(٣) ابن مالك ، شرح الكافية الشافية ، ج ٢ ص ٦٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منهج التحليل اللغوي
الخارجي في الخصائص

كان التحليل اللغوي الخارجي عند ابن جنّي مسانداً التحليل اللغوي الداخلي، فقد تنبه إلى أن هناك عوامل خارجية لها تأير على اللغة، كلمة كانت أم جملة، وأول عامل نلحظ عنايته به هو المعنى، فالأبواب والفصول التي تتناول المعنى - في كتابه الخصائص- عديدة فمنها مثلاً: (باب في الفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى) [١] ،و (فصل في الحمل على المعنى) [٢] ، و (باب في التفسير على المعنى دون اللفظ)[٣].

ويشارك علماء اللغة الاجتماعيون ابن جنّي عنايته بالمعنى ، إذ المعنى عندهم في مقدمة العوامل الخارجية التي تؤثر في استعمالنا للغة ؛ فالمعنى هو الذي يوجهنا عند اختيارنا للمفردات والجمل لنعبر عن معنى ما.

وفي السطور الآتية بعض الصور الممثلة لمنهج ابن جنّي الخارجي في التحليل اللغوي، والتي سنرى من خلالها أن تأثير المعنى عنده يصل إلى حد قيادة الإعراب وتوجيهه في كثير من المواضع ، وأن المعنى يفسر سرّ التركيب في جملة ما ، أو سرّ بناء كلمة ما .

أولاً - المعنى :-

معلوم أن من المألوف في لغتنا العربية ، الابتداء بالمعرفة ، لكن هناك المثل العربي (شرّ أهرّ ذا ناب) ابتديء به بالنكرة ، وقد علل النحاة هذا الابتداء بالنكرة ، ومنهم سيبويه الذي قال : (وأما قوله : شيءٌ ما جاء بك ، فإنه يحسن . . . لأن فيه معنى ما

---

(١) ابن جنّي ، الخصائص ، ج ١ ص ٢٧٩ .

(٢) ابن جنّي ، المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٤١١ .

(٣) ابن جني ، المصدر نفسه ، ج ٣ ص ٢٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاء بك إلا شرّ ، ومثله مثل للعرب : « شر أهرّ ذا ناب » [١] ، واكتفى سيبويه بهذا القول ، ومؤداه أن الابتداء بالنكرة جاز هنا لأنه كان على معنى النفي .

وكما ألفنا عند ابن جنّي فإنه يزيد المسألة تفصيلا وتوضيحاً حين يقول :

(وأما قولهم « شرّ أهرّ ذا ناب » فإنما جاز الابتداء فيه بالنكرة من حيث كان الكلام عائدا إلى معنى النفي ، أي ما أهر ذا ناب إلا شر ، وإنما كان المعنى هذا لأن الخبرية عليه أقوى ؛ ألا ترى أنك لو قلت : أهر ذا ناب شرّ لكنت على طرف من الإخبار غير مؤكّد، فإن قلت : ما أهر ذا نابٍ إلا شرّ كان ذلك أوكد، . . . وإنما احتيج إلى التوكيد في هذا الموضع من حيث كان أمراً عانيا مهماً، وذلك أن قائل هذا القول سمع هرير كلب فأضاف منه وأشفق لاستماعه أن يكون لطارق شرّ ، فقال : شر أهر ذا ناب ؛ أي ما أهر ذا ناب إلاّ شر ؛ تعظيماً عند نفسه ، أو عند مستمعه ، وليس هذا في نفسه كأن يطرق بابه ضيف أو يلمّ به مسترشد، فلما عناه وأهمّه ، وكّد الإخبار عنه وأخرج القول مخرج الإغلاظ به والتأهب لما دعا إليه) [٢].

وجاء في شرح المفصل ما يؤكد هذا التخريج ونصه هو : (فالابتداء بالنكرة فيه حسن لأن معناه ما أهر ذا ناب إلاّ شرّ . . . فالابتداء محمود على معنى الفاعل ، وجرى مثلاً والأمثال تحتمل ولا تغير . . . . ولم يكن غرضهم الإخبار عن شر وإنما يريدون الكلب أهره شر ، وإنما كان محمولاً على معنى النفي لأن الإخبار به أقوى لأنه أوكد) [٣] .

---

(١) سيبويه ، الكتاب ، ج ١ ،ص ٣٢٩ .

(٢) ابن جني، الخصائص ، ج ١، ص ٣١٩ .

(٣) ابن يعيش ، شرح المفصل، ج ١، ص ٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعلل ابن الحاجب المسألة بقوله :(إن ذلك لما كان في المعنى فاعلاً) [١] وحين نمعن النظر في القولين الأخيرين نرى أن صاحبيها قد نظرا إلى الجانب النحوي في تركيب الجملة حين سوغا الابتداء بـ (شّر) لأنه في حقيقته "فاعل" ،بينما نرى ابن جنّي يلتفت إلى المعنى المرجو من هذا التعبير ، ويتمثل الموقف الذي قيلت فيه الجملة بكل أبعاده ، فيحلل ملابسات موقف الخطاب بكل جوانبه الخارجية ؛ فالأمر خطر مهم ، والحالة النفسية للمتكلم مضطربة ، يشعر بالخوف أو الإشفاق ، ثم محاولته التعبير عن المعنى ، كما هو عند نفسه ، كل هذا يفرز تلك الصورة من التركيب اللغوي في ذلك المثل ، ويبيح تجاوز القاعدة النحوية من حيث الابتداء بالمعرفة .

والمعنى عند ابن جنّي سوّغ استعمال حرف جر مكان حرف جر آخر ومثاله في قوله تعالى: ﴿ هل لك إلى أن تزكى ﴾ [٢] يقول فيه : (وأنت إنما تقول: هل لك في كذا لكنه لما كان على هذا دعاء منه " صلى الله عليه وسلم " صار تقديره ؛ أدعوك وأرشدك إلى أن تزكى) [٣].

ويتابع الزمخشري ابن جنّي في رأيه فيقول : (وفي قراءة عبد الله أن اذهب لأن في النداء معنى القول هل لك في كذا وهل لك إلى كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل ترغب إليه) [٤]. وجاء في التفسير الكبير للرازي إضافة إلى ما تقدم : (ويحتمل أن يكون التقدير هل لك سبيل إلى أن تزكى) [٥].

فابن جنّي يخرج الآية على أنها تتضمن معنى الدعاء لأننا نقول : أدعوك إلى . . .

---

(١) ابن الحاجب ، الكافية في النحو ، ج ١، ص ٨٨ .

(٢) آية ١٨ سورة النازعات .

(٣) ابن جنّي ، الخصائص ج ٢ ، ص ٣٠٩ .

(٤) الزمخشري ، الكشاف، ج ٤ ، ص ١٨٢

(٥) الرازي ، التفسير الكبير ج ٨ ،ص ٣٢٣ .دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويذهب الزمخشري إلى أنها تتضمن معنى النداء ، وليس معنى النداء ببعيد عن معنى الدعاء ، إذ النداء يتضمن معنى الدعاء ، فقولنا يا محمد أقبل، يحتمل معنى أدعوك إلى أن تقبل ، وعلى هذا فالتفات ابن جنّي إلى المعنى مسوغاً استعمال(إلى) بدلاً من (في) حسن ومقبول .

وفي قوله تعالى: ﴿ من أنصاري إلى الله ﴾ [١] يقول ابن جنّي : (أي مع الله وأنت لا تقول : سرت إلى زيد أي معه ؛ لكنه إنما جاء (من أنصاري إلى الله) لما كان معناه : من ينضاف في نصرتي إلى الله فجاز لذلك أن تاتي هنا إلى)[٢] .

ويقول الطبري في هذه الآية : (يعني من أنصاري منكم إلى نصرة الله لي) [٣] وأما الزمخشري فيفسرها بقوله : (فإن قلت ما معنى قوله من أنصاري إلى الله قلت يجب أن يكون معناه مطابقا لجواب الحواريين ﴿ نحن أنصار الله ﴾ والذي يطابقه أن يكون المعنى من جندي متوجها إلى نصرة الله ، وإضافة أنصاري خلاف إضافة أنصار الله ، فإن معنى نحن أنصار الله نحن الذين ينصرون الله. ومعنى من أنصاري من الأنصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله ، ولا يصح أن يكون معناه من ينصرني مع الله لأنه لا يطابق الجواب) [٤].

فالزمخشري إذن يخالف الطبري وابن جنّي في تفسيرهما للآية إذ ينبغي - حسب رأي الزمخشري - أن يكون الجواب (نحن أنصارك) بالنظر إلى تفسيرهما ذاك .

وهذا بيت شعري لعنترة يورد ه ابن جنّي ويلجأ فيه إلى المعنى يوجه التركيب به في استعمال حرف جر بدل الآخر .

---

(١) آية ١٤ سورة الصف.

(٢) ابن جنّي، الخصائص ج ٢ ص ٣٠٩ .

(٣) القرطبي، جامع البيان في تفسير القرآن، مجلد ١٢ ، ج ٢٨،ص ٥٩ .

(٤) الزمخشري، الكشاف ، ج ٤ ، ص ٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

*** بطل كأن ثيابه في سَرْحة [١] يُحذي نعال السبت ليس بتوءم ***

أي على سرحة وجاز ذلك من حيث كان معلوماً أن ثيابه لا تكون في داخل سَرْحة لأن السرحة لا تنشق فتستودع الثياب ولا غيرها وهي بحالها سرحة) [٢]. فالاحتكام إلى المعنى المتعارف عليه بين الناس وهو أن الثياب على سرحة وليس في سرحة يحسم امر الالتباس ويوجه التركيب اللغوي وجهته الصحيحة .

ويقول ابن جنّي في (باب في الاعتراض) : (فأما ما أنشده أبو علي من قول الشاعر [٣]:

أتنسى - لا هداك الله - ليلى وعهد شبابها الحسن الجميل !

*** كأن - وقد أتى حَوْل جديد - أثافيها حمامات مثول***

فإنه لا اعتراض فيه ، وذلك أن الاعتراض لا موضع له من الإعراب ، ولا يعمل فيه شيء من الكلام المعترض به بين بعضه وبعض ما تقدم ، فأما قوله : « وقد أتى حَوْل جديد » فذو موضع من الإعراب ، وموضعه النصب بما في « كأن » من معنى التشبيه ؛ ألا ترى أن معناه: أشبهت وقد أتى حَوْل جديد حمامات مثولاً .أو أشبهها وقد أتى حول جديد بحمامات مثول ، أي أشبهها في هذا الوقت وعلى هذا الحال بكذا) [٤].

فرغم أن القاعدة النحوية تقضي بأن جملة (وقد أتى حول جديد) جملة معترضة ، وهذا ما ذهب إليه النحاة إذ أورد البيت الشعري ابن عقيل في كتابه المساعد على تسهيل الفوائد في فصل الجمل التي لا محل لها من الإعراب واستشهد به على الجملة

---

(١) سرحة : الشجرة العظيمة ، لسان العرب مادة (سرح) .

(٢) ابن جنّي ،الخصائص ج١، ص ٣٣٧

(٣)هو أبو الغول الطهويّ ، انظر شواهد المساعد على تسهيل القواعد ج ٢، ص ٥٢ .دار الفكر دمشق، ط(١) . ١٩٨٢ .

(٤) ابن جني ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعترضة بين كان واسمها [١]، إلا أن المعنى عند ابن جنّي يتدخل ويقضي أن لا اعتراض، وعليه فهو يقود الإعراب ويوجهه وجهة تتواءم والمعنى الذي رامه الشاعر كما بان من قول ابن جنّي .

ويمعن ابن جنّي النظر في التركيب اللغوي فيتجاوز التحليل الشكلي للتراكيب النحوية لينفذ إلى عمق المعنى فيجد فيه المسوّغ لكثير من الظواهر اللغوية والتي تبدو وكأنها خروجٌ عن النظام اللغوي .

جاء في (باب في الفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى) : (أن الأصمعي أنشد في جملة أراجيزه شعراً . . . التزم فيه أن جعل قوافيه كلها في موضع جر إلا بيتا واحدا من الشعر :

يستمسكون من حذار الإلقـــاء بتلعات كجذوع الصيصـــاء

رِدي رِدي وِرْدَ قطاة صمّـــاء كدرّية أعجبها بَرْد المـــــاء

تطرد قوافيها كلها على الجر إلا بيتا واحدا ، وهو قوله :

كأنها وقد رآها الـــــــــــرؤاء [٢]

ويرى ابن جنّي أن الذي سوّغ هذا الخلط للشاعر هو أنه تصور المعنى (كأنها في وقت رؤية الرؤاء) أي تصور معنى الجرّ في هذا الموضع ، وكأنه لذلك لم يخالف في حركة القافية وهي الجر .

وهكذا نرى قوة سلطة المعنى عند ابن جنّي ، فظاهر اللفظ ينبيء أن الشاعر قد خالف حركة القافية ، لكن ابن جنّي يجد له منفذاً ومخرجاً يسوغ هذه المخالفة حين يتكيء

---

(١) انظر ابن عقيل ، المساعدة على تسهيل الفوائد ، ج ٢ ، ص ٥٢ .

(٢) ابن جنّي ، الخصائص ج ١ ، ص ٢٨٠ . والبيت الشعري الأول أورده لسان العرب في (تلع) منسوباً إلى غيلان الربعي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على المعنى الذي قد يكون في ذهن الشاعر لحظة نَطَق بلفظه هذا ، فيحكم له بأن لم يخالف حركة القافية .

وفي الباب نفسه يتناول ابن جنّي جملة (أهلكَ والليلَ) والتي يقول فيها سيبويه : (كأنه قال : بادر أهلك قبل الليل ، وإنما المعنى أن يحذره أن يدركه الليل والليل محذر منه) [١]. أما ابن جنّي فيقول في معنى الجملة : (معناه الحق أهلك قبل الليل ، وهذا -لعمري - تفسير المعنى لا تقدير الإعراب ، فربما دعا ذاك من لا دُرْبة له إلى أن يقول: (أهلك والليلِ) فيجره ، وإنما تقديره الحق أهلك وسابق الليلَ) [٢] .

ويورد ابن الحاجب في هذه المسألة رأيين يخالف في أحدهما ابن جنّي إذ يقول : (ومنها قولهم أهلك والليلِ ، إن كان الواو فيه بمعنى مع فالمعنى الحق أهلك مع الليل أي لا يسبقك الليل إليهم ، وإن كانت للعطف انتصب الليل بفعل آخر غير ناصب أهلك أي الحق أهلك واسبق الليل) [٣].

والحرص على دقة المعنى وسلامته يحفظ سلامة التركيب اللغوي ويوجه إعرابه الوجهة السليمة ، ويؤكد هذا ابن جنّي بقوله : (فإن أمكنك أن يكون تقدير الإعراب على سمت تفسير المعنى فهو ما لا غاية وراءه ، وإذا كان تقدير الإعراب مخالفا لتفسير المعنى تقبلت تفسير المعنى على ما هو عليه، وصححت طريق تقدير الإعراب حتى لا يشذ شيء منها عليك) [٤] .

ويتخذ ابن جنّي من المعنى مرجعا في تحليله بعض الصيغ مفسرا سر صياغتها بصورتها

---

(١) سيبويه ، ج ١، ص ٢٧٥ .

(٢) ابن جنّي ،الخصائص ج ١، ص ٢٧٩ و ج ٣، ص ٢٦١ .

(٣) ابن الحاجب، الكافية في النحو ، ج ١ ص ١٣٠ .

(٤) ابن جنّي،المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تلك فيقول : (في باب الشيء يرد مع نظيره مورده مع نقيضه ، وذلك أضرب : منها اجتماع المذكر والمؤنث في الصفة المؤنثة ؛ نحو رجل علاّمة ، وامرأه علاّمة ، ورجل نسّابة وامراة نسّابة . . . وذلك أن الهاء في نحو ذلك لم تلحق لتأنيث الموصوف بما فيه، وإنما لحقت لإعلام السامع أن هذا الموصوف بما هي فيه قد بلغ الغاية والنهاية)[١]. أي (إنه غاية في ذلك الوصف ، والغاية مؤنثة) [٢]. ثم يضيف ابن جنّي أن الهاء لو كانت للتأنيث لوجب حذفها في المذكر.

ومثال مثال آخر يورده في قوله : ومنها اجتماع المذكر والمؤنث في الصفة المذكرة ، وذلك نحو رجل خصم ، وامرأة خصم ، ورجل عدل ، وامرأة عدل . . . ورجل رضا، وامرأة رضا ، وكذلك ما فوق الواحد ؛ نحو رجلين رضا ، وعدل ، وقوم رضا وعدل ، ويذهب ابن جنّي إلى أن سبب هذا الاجتماع في هذه الصفة أن المعنى المراد من هذا الوصف هو المبالغة فتجده يقول : وسبب اجتماعهما هنا في هذه الصفة أن التذكير إنما أتاها من قبل المصدرية ؛ فإذا قيل : رجل عدل فكأنه وصف بجميع الجنس مبالغة ؛ كما تقول : استولى على الفضل وحاز جميع الرياسة والنبل ، ولم يترك لأحد نصيباً في الكرم والجود ، ونحو ذلك ، فوصف بالجنس أجمع ، تمكينا لهذا الموضع وتاكيداً [٣]. فالنظام النحوي يقصر التذكير على المذكر ، والتأنيث على المؤنث ، لكن المعنى المراد من الصيغتين في المثالين المتقدمين يقتضي تجاوز هذا القصد لأداء معانٍ معينة كالمبالغة والتمكين والتوكيد ، فكان أن فرض المعنى بناء الصيغة بشكل يؤدي المعنى المرجو منها ، كما وحّد بناء صيغة الصفة سواء كانت للمذكر أو المؤنث أو للمثنى أو للجمع نحو (رجل رضا ، وامرأة رضا ، ورجلين رضا ، وقوم رضا) .

(١) ابن جنّي، الخصائص، ج ٢ ،ص ٢٠١ .

(٢) ابن عقيل . المساعد على تسهيل الفوائد ، ج ٣ ،ص ٢٩٣ .

(٣) انظر ابن جني، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا (باب في قوة اللفظ لقوة المعنى) سلك ابن جنّي فيه سبيل المعنى حين يميز بين لفظ (كسبت) ولفظ (اكتسبت) .فيعلل سبب زيادة التاء في اللفظ الثاني قائلاً: (وعليه - عندي - قول الله عز وجل : ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ [١] ، وتأويل ذلك أن كسب الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمر يسير ومستصغر، وذلك لقوله - عز وجل-﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها ﴾ [٢]؛أفلا ترى أن الحسنة تصغر بإضافتها إلى جزائها ، صغر الواحد إلى العشرة ، ولما كان جزاء السيئة إنما هو بمثلها لم تحتقر إلى الجزاء عنها ، فعلم بذلك قوة فعل السيئة على الحسنة ولذلك قال تبارك وتعالى: ﴿ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدّا أن دعوا للرحمن ولدا﴾ [٣] فإذا كان فعل السيئة ذاهبا بصاحبه إلى هذه الغاية البعيدة المترامية ، عظم قدرها وفخم لفظ العبارة عنها ، فقيل لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، فزيد في لفظ السيئة ، وانتقص من لفظ الحسنة) [٤] .

ويبدو أن تعليل ابن جنّي هذا قد اقنع بعض من جاء بعده وراق لهم ، فهذا الزمخشري يقول في الآية نفسها: (ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر . . . فإن قلت لم خصّ الخير بالكسب والشرّ بالاكتساب، قلت في الاكتساب احتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة إليه وأمارة به كانت في تحصيله أعمل وأجدّ فجعلت لذلك مكتسبة فيه، ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال)[٥] .

ويقترب من تعليل ابن جنّي كذلك تعليل ابن عطية الأندلسي إذ يقول :

---

(١) آية ٢٨٦ ، سورة البقرة .

(٢) آية ١٦٠ سورة الأنعام .

(٣) آية ٩٠ سورة مريم.

(٤) ابن جنّي ، الخصائص ، ج ٣ ، ٢٦٥ .

(٥) الزمخشري،الكشاف، ج ١ ص ١٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(وكرر فعل الكسب فخالف بين التصريف حُسْناً لنمط الكلام، وهذا وجه ، والذي يظهر لي في هذا أن الحسنات هي مما يكسب دون تكلف إذ كاسبها على جادة الله ورسم شرعه، والسيئات تكتسب ببناء المبالغة إذ كاسبها يتكلف في أمرها خرق حجاب نهى الله عنه ويتخطاه إليها، فيحسن في الآية مجيء التصريفين إحرازا لهذا المعنى)[١] .

وللمعنى أن يُعدّل في البناء المعتاد للفظ تعديلا يؤدي غرضاً ما يتطلبه المعنى كالمبالغة مثلاً. ومنه قول ابن جنّي : (ونحو من تكثير اللفظ لتكثير المعنى العدول عن معتاد حاله ، وذلك فُعال في معنى فعيل ؛ نحو طُوال ؛ فهو أبلغ معنى من طويل ، وعُراض؛ أبلغ معنى من عريض ، وكذلك خُفاف من خفيف ، وقُلال من قليل ، وسُراع من سريع) [٢]. ويفسر ابن جنّي قوله المتقدم على النحو الآتي : (ففُعال - لعمري - وإن كانت أخت فعيلٍ في باب الصفة ، فإن فعيلاً أخص بالباب من فعال ؛ ألا تراه أشدّ انقيادا منه ؛ تقول : جميل ولا تقول جُمال ، وبطيء ولا تقول : بُطاء ، وشديد ولا تقول شُداد. . فلما كانت فعيل هي الباب المطّرد وأريدت المبالغة ، عدلت إلى فعال ، فصارت فعال بذلك فعّالا .والمعنى الجامع بينهما خروج كل واحد منهما عن أصله ، أما فُعّال فبالزيادة ، وأما فُعال فبالانحراف به عن فعيل) [٣].

وعليه فالمعنى بين يدي ابن جنّي عامل مؤثر رئيسي في التركيب اللغوي ، فهو الذي يحدد الكيفية التي يجب أن يقام عليها بناء الجملة وفقا ومتطلبات المعنى ، وهو الذي ينقاد الإعراب له ، وبه يتوجه، وهو الذي يقرر صيغة اللفظ وبناءه من حيث زيادة حرف، أو نقصانه منه ، أو تعديل لفظ إلى آخر ، وفي هذا يقول ابن جنّي: (وبعد

(١) ابن عطية، الاندلسي ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ج ٢ ،ص ٣٩١ .

(٢) ابن جنّي، الخصائص ، ج ٣ ،ص ٢٦٧ .

(٣) ابن جنّي، المصدر نفسه ، ج ٣ ،ص ٢٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإذا كانت الألفاظ أدلة المعاني ، ثم زيد فيها شيء ، أوجبت القسمة له زيادة المعنى به وكذلك إن انحُرِف به عن سمته وهَدْيته كان ذلك دليلا على حادث متجدد فيه) [١].

ثانياً : التشكيل الاجتماعي :-

وهذا هو العامل الثاني من العوامل الخارجية التي تؤثر في استعمالنا للغة في نظر علماء اللغة الاجتماعيين وهو عندهم يشمل : (طبقة المتكلم ومركزه ، وطبيعة الموقف الذي يتكلم فيه : أرسمي هوأم غير ذلك) [٢] .

وتحظى الطبقة الاجتماعية بعناية مميزة عند علماء علم اللغة الاجتماعي المحدثين إذ يشيع الاعتقاد بأن اللغة تعمل علامة طبيعية يمكن عن طريقها التمييز بين جماعات المتكلمين ، ونستطيع ايضا التمييز بين الطبقات الاجتماعية المختلفة بعضها عن بعض ، ثم تحديد المكانة الاجتماعية التي يحتلها الأفراد بالنظر إلى انتماءاتهم الطبقية . . . . فلغة المثقفين مثلا تختلف عن لغة الأميين ، وهو ما يطلق عليه بوجه عام اللهجات الطبقية[٣] . فهل لمح ابن جنّي تواصلاً مابين هذه المؤثرات والمتغيرات الاجتماعية واللغة ؟ .

من بين أبواب الخصائص (باب في ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر) [٤]، وفيه نرى أن ابن جنّي قد ميّز أثر البيئة الاجتماعية - التي ينشأ فيها المتكلم - على لغته ، وأدرك أن كل تغيير يطرأ على التكوين أو البناء الاجتماعي لهذه البيئة ينعكس أثره على اللغة مباشرة ، ويتضح هذا في مقارنته بين مجتمع أهل المدر أو الحضر ومجتمع أهل الوبر أو البادية من حيث اللغة ، فيرى أن اختلاط أهل المدر

---

(١) ابن جنّي، الخصائص ، ج ٣ ،ص ٢٦٨ .

(٢) نهاد الموسى ، الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه، ص ٢ .

(٣) انظر محمود ابو زيد ، اللغة في الثقافة والمجتمع ، ص ١٤٨ .

(٤) ابن جنّي، المصدر السابق ، ج ٢، ص ٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأجناس شتى من غير العرب قد عرّض لغتهم للاختلال والفساد وابتعد بها عن الفصاحة التي احتفظ بها أهل الوبر في مجتمعهم الذي بقي نقياً من الأجناس الغريبة عنه ، ويقول بشأن ترك أخذ اللغة عن أهل المدر وأخذها عن أهل الوبر : (وعلة امتناع ذلك ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخطر ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم ، ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم ، لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر ، وكذلك ايضاً لو شاع في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر لوجب رفض لغتها ، وترك تلقي ما يرد عنها)[١] .

لقد ميّز ابن جنّي بين التشكيل الاجتماعي لأهل المدر والتشكيل الاجتماعي لأهل الوبر بحيث ترتب على أساس هذا التمييز تمايز في لغتيهما ، فكان أن رُفضت لغة ، وقبلت أخرى .

ثم يتابع ابن جنّي حديثه في الباب نفسه فيقول : (وقد كان قرأ علينا أحد من يدعي الفصاحة البدوية ، ويتباعد عن الضعفة الحضرية فتلقينا أكثر كلامه بالقبول له ، وميزناه تمييزاً حسُن في النفوس موقعه ، إلى أن أنشدنى شعراً لنفسه يقول في بعض قوافيه : اشئوُها [٢]، وأداؤها [٣] ، بوزن أشعرها وأدعرها فجمع بين الهمزتين كما ترى ، وأستأنف مالا أصل له ، ولا قياس يسوّغه، نعم ، وأبدل إلى الهمز حرفاً لاحظ في الهمز له ، بضّد ما يجب ؛ لأنه لو التقت همزتان عن وجوب صنعة للزم تغيير إحداهما[٤]، فكيف أن يقلب الهمز قلباً ساذجاً . . . ثم يحقق الهمزتين جميعا ! هذا ما لا يبيحه قياس ، ولا ورد بمثله سماع . . . وبعد أن يورد ابن جنّي خطأ آخر لهذا

---

(١) ابن جنّي الخصائص ، ج ٢ ،ص ٥ .

(٢) شاوت أو شايت القوم : سبقتهم، لسان العرب مادة (شاي) قال محقق الخصائص "اشئوها" مضارع شاي وصوابه " اشآها" .

(٣) داى الذئب للغزال : إذا ختله وراوغه للصيد ، لسان العرب مادة (داي) قال محقق الخصائص وصوابه " ادآها " .

(٤) انظر أحكام تغيير الهمزة ، شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، ج ٤ ص، ٢١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القائل يصرح قائلاً : فقوى في نفسي بذلك بعده عن الفصاحة وضعفه في القياس الذي ركبه . . . [١] .

وهذا المثال يؤكد القول بأن ابن جنّي استطاع أن يتحسس الصلة بين اللغة ومن تصدر عنه خاصة حين يقول : (فصاحة بدوية) و (ضعفة حضرية) ، فالإشارة واضحة إلى ربطه بين اللغة ونوعية مجتمعها .

وطبقة المتكلم عند ابن جنّي من المؤثرات التي يستعين بها في تحليله اللغوي ، فها هو يفصل بين طبقة المتكلمين أو أصحاب صناعة الإعراب وطبقة عامة الناس أو الذين لا يعنيهم الإعراب ولا صناعته عندما يعلل جواب الأعرابي الذي سئل عن تحقير الحبارى، فقال حبرور ، فيقول فيه : (وهذا جواب من قصد الغرض ولم يحفل باللفظ ؛ إذ لم يفهم غرض السائل بما هو الغرض عند الكافة في مثله ، ولم يحفل بصناعة الإعراب التي إنما هي لفظية ولقوم مخصوصين) [٢].

ومؤدى عبارة ابن جنّي أن هذا الأعرابي لم يفهم معنى « التحقير » الذي يعني تصغير اللفظ عند أصحاب صناعة الإعراب ، وإنما فهمه كما هو متعارف عليه عنده وعند من في طبقته من عامة الناس الذين لا ينتمون إلى « القوم المخصوصين » أو طبقة أصحاب الإعراب وصناعته .

ويضيف ابن جنّي أمثلة أخرى في هذا الصدد منها أنه سأل الشجري يوماً فقال له (كيف تجمع المحرنجم ؟ فقال وأيْش فرقه حتى أجمعه !) [٣] . وكذا لم يدرك الشجري غرض ابن جنّي في قوله « تجمع » ولم يفهم دلالتها النحوية ، وبخاصة أن معنى المحرنجم الشيء المجتمع [٤]، ولهذا السبب استنكر سؤال ابن جنّي .

---

(١) انظر ابن جنّي ،الخصائص ، ج ٢ ص ٥ ، ٦ ، ٧ .

(٢) ابن جنّي، المصدر نفسه ، ج ٢، ص ٤٦٦ .

(٣) ابن جنّي، المصدر نفسه ، ج ٢ ،ص ٤٦٦ .

(٤) لسان العرب مادة (حرجم).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويسأله ابن جنّي مرة أخرى : (كيف تحقر الدمكمك [١] ؟ فقال شَخِيت [٢] فيعلق ابن جنّي على إجابة الشجري بقوله : (فجاء بالمعنى الذي يعرفه هو ، ولم يراع مذهب الصناعة) [٣]، أي لو كان المسؤول من طبقة متعلمة لكان أدرك مغزى السؤال ، وفهم مصطلح أهل تلك الطبقة من النحاة .

ونلمح عند ابن جنّي إحساساً بأثر المهنة في اللغة ، حين يتحدث عن الأحوال الشاهدة بالقصود وأن المعُاين للحدث الكلامي ليس كالمخبَر به من حيث تمكُن الأول من إدراك مرامي الكلام وفهم غرض المتكلم بدقة بينما لا يتسنى لمن يروى له الكلام رواية إلا القليل من الإدراك والفهم ، ويعدد ابن جنّي أصحاب المهن من حمالين وحمامين وساسة ووقّادين ويجعلهم مقابلاً لأبي عمرو ممثلاً أصحاب صناعة الإعراب أو فئة النحاة مثلاً ، فيقول :(وبعد فالحمالون والحماميّون ، والساسة والوقادون ، ومن يليهم ويعتد منهم ، يستوضحون من مشاهدة الأحوال مالا يحصله أبو عمرو من شعر الفرزدق إذا أخبرته عنه ، ولم يحضره ينشده) [٤].

وكأننا بابن جنّي يقول : رغم أن هذه الفئات من أصحاب المهن كالحمالين والحمامين والساسة والوقادين لم يبلغوا مستوى اللغويين أو النحويين في فهم اللغة وعلومها إلا أن مشاهدتهم للحدث الكلامي تُمكنهم من إدراك ما لا يدركه اللغوي أو يفهمه ، إذا روي له الحدث الكلامي رواية رغم تفوقه عليهم بعلمه في اللغة وما يتصل بها .

وطبيعة الموقف من المتغيرات الاجتماعية التي تؤثر في استعمالنا اللغة ، كأن يكون الموقف رسمياً أو غير رسمي ، ولانعدم أن نجد مثالاً يصور أثر الموقف في اللغة عند ابن

---

(١) الدمكمك : القوي الشديد ، لسان العرب مادة "دمك"

(٢) شخيت : نحيف الجسم دقيقه ، لسان العرب مادة "شخت".

(٣) ابن جنّي، الخصائص ، ج ٢ ،ص ٤٦٦ .

(٤) ابن جنّي المصدر نفسه ، ج١ ،ص ٢٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جنّي حين يقول : (إنما لم تخاطب الملوك بأسمائها إعظاما لها ؛ إذ كان الاسم دليل المعنى وجارياً في أكثر الاستعمال مجراه ؛ حتى دعا ذلك قوما إلى أن زعموا أن الاسم هو المسمى فلما أرادوا إعظام الملوك وإكبارهم تجافوا وتجانفوا عن ابتذال أسمائهم التي هي شواهدهم ، وأدلة عليهم ، إلى الكناية بلفظ الغيبة ، فقالوا : إن رأى الملك أدام الله علّوه ، ونساله حرس الله ملكه) [1].

فنوعية العلاقة بين المتحدث والمخاطب وطبيعة الموقف تفرض أسلوبا معيناً في الخطاب اللغوي ، ولعل هذا ما أشار إليه علم اللغة الاجتماعي بعلاقة النفوذ والتواصل أو القوة والتضامن ، فكلما زاد الفرق في القوة بين المتحدثين مال المتحدثون إلى استخدام الكنى والألقاب الرسمية أو كما قال ابن جنّي استخدام ضمير الغائب مع المخاطب ، وقد يستخدم ضمير الجمع للمخاطب الفرد كما في مخاطبة الملوك والرؤساء أو ذوي الشأن والمكانة .

وبعد ألسنا نرى فيما تقدم عند ابن جنّي أنه يقيم وزناً للتشكيل الاجتماعي في اللغة؟ ،أليس فيها إلماحٌ إلى أن إدراكه أن اللغةتحيا حياة مجتمعها بثوابته ومتغيراته ؟ .

ثالثا – التفاوت الفردي بين المتكلمين : –

لقد أولى علماء علم اللغة الاجتماعي الفرد عناية كبيرة ، إلى جانب عنايتهم بالوحدات الاجتماعية الكبيرة مثل القبائل والأمم والطبقات الاجتماعية ، ذلك أن نجاحهم في فهم السلوك اللغوي للفرد سيعينهم على فهم السلوك اللغوي للوحدات الاجتماعية .

ويشكل التفاوت الفردي بين المتكلمين العامل الثالث من العوامل المؤثرة في استعمالنا

(١) ابن جنّي، الخصائص ، ج ٢ ،ص ١٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للغة ، حسب ما يرى علماء علم اللغة الاجتماعي ، (وهو يتبدى مثلا في أن لكل فرد الفاظاً خاصة مفصلة تدور في كلامه على سعة ، كما أن له في صوته خاصية مميزة ، ومن أمثلته أيضاً ما يكون من التزام بعض الأشخاص سمتاً أكثر رسمية في كلامهم)[١].

ويرى علماء علم اللغة الاجتماعي أن ما من فردين يتحدثان باللغة نفسها تماماً لأنه لا يمكن أن يتوافر لهما القدر نفسه من التجارب والخبرات باللغة إضافة إلى المؤثرات الأخرى من السن ومسقط الرأس والطبقة الاجتماعية ، والمهنة ، والجنس [٢].

وهذا العامل - التفاوت الفردي بين المتكلمين - عامل (محدود التأثير) [٣] في نظر علماء علم اللغة الاجتماعي .

ونعود لابن جنّي ونلفه قد ألمح إلى هذا التفاوت الفردي بين المتكلمين وما يتعلق به في مواضع عديدة في الخصائص .

لقد عرف ابن جنّي أن الناس متفاوتون في تقبل الواحد منهم لغة غيره ، فمنهم من يسهل عليه تلقيها وتقبلها ، ومنهم من يتقنها ويتكلم بها إذا طالت معايشته لها ، ومنهم من يعسر عليه تلقي لغة غيره وتقبلها ، ويرفض النطق بها رغم التلقين والتمرين ، بل يقيم على لغته ويستعصم بها، لغته التي نشأ عليها وألفها ، وفي هذا يقول : (واعلم أن العرب تختلف أحوالها في تلقي الواحد منهم لغة غيره ؛ فمنهم من يخف ويسرع قبول ما يسمعه ، ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتة ، ومنهم من إذا طال تكرر لغة غيره عليه لصقت به ووجدت في كلامه) [٤].

---

(١) نهاد الموسى ، الوجهه الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه ، ص ٢ .

(٢) انظر هدسون ، علم اللغة الاجتماعي ، ص ٣٤ .

(٣) نهاد الموسى ، المرجع السابق، ص ٢ .

(٤) ابن جنّي الخصائص ، ج ١ ،ص ٢٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الصنف الثاني وهو الذي يستعصم بلغته هذا الأعرابي الذي أورد ابن جنّي حكايته [١] في قراءته الآية الكريمة ﴿ طوبى لهم وحسن مآب ﴾ حيث قرأها ﴿ طيبى لهم وحسن مآب ﴾ ولم يجد معه التلقين والتمرين في تعديل قراءته أو تصويبها لأنه استثقل ما لم يألفه ويتحدث به ، فلم يقو على النطق به فيقول فيه : (أفلا ترى إلى هذا الأعرابي وأنت تعتقده جافيا كزاً لا دمثاً ولا طيعاً ؛ كيف نبا طبعه عن ثقل الواو إلى الياء فلم يؤثر فيه التلقين ، ولا ثنى طبعه عن التماس الخفة هزّ ولا تمرين) [٢] ، فاستعصم بلغته وترك متابعة مُلقّنه .

وتنبه ابن جنّي إلى الفروق الفردية في المعرفة اللغوية أو الخبرات بها ، ومما يرويه في هذا الشأن قوله : (عن أبي بكر محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى قال : اجتمع أبو عبد الله ابن الأعرابي وأبو زياد الكلابي على الجسر ببغداد ، فسأل أبو زياد أبا عبد الله عن قول النابغة الذبياني :

على ظهر مبْنـــــــــاةٍ [٣]

فقال أبو عبد الله : النَّطعْ، فقال أبوزياد: لا أعرفه، فقال : النِطع، فقال أبو زياد نعم) [٤]، ويعلل ابن جنّي إنكار أبي زياد « للنّطْع » لأنها ليست من لغته ولا دراية له بها رغم اقتراب اللفظين وعدم اختلافهما إلا في الحركة ، فقد يكون المجيب أبو عبد الله قد أجاب بداية بلغته هو فلما أنكر عليه أبو زياد اللفظ أجابه بلغته التي يفهمها ويعرفها، وعبارة ابن جنّي في هذا: (أفلا ترى كيف أنكر غير لغته على قرب بينهما) [٥].

---

(١) انظر هذا البحث ،ص (٥)

(٢) ابن جنّي الخصائص ، ج ١ ،ص ٧٦ .

(٣) المبناه : قبة من آدم لسان العرب مادة (بني).

(٤) ابن جنّي الخصائص ، ج ١ ،ص ٢٨٣ .

(٥) ابن جنّي، المصدر السابق ، ج١ ،ص ٢٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحكاية أخرى تشبه في مؤداها الحكاية السابقة يقول فيها ابن جنّي : (ألا ترى إلى قول رسول الله " صلى الله عليه وسلم " وقد قيل له : يا نبيء الله ، فقال : "لست بنبيء الله ولكني نبيّ الله" وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أنكر الهمزة في اسمه فرد على قائله ، لأنه لم يدر بم سماه) [١].

ولعل من الأبواب التي تشير بشكل جلي إلى تنبه ابن جنّي إلى التفاوت الفردي بين المتكلمين (باب فيما يرد عن العربي مخالفاً لما عليه الجمهور) فقد جاء فيه : (إذا اتفق شيء من ذلك نظر في حال ذلك العربي ، وفيما جاء به ، فإن كان الإنسان فصيحاً في جميع "ما تكلم به"* ما عدا ذلك القدر الذى انفرد به ،وكان ما أورده مما يقبله القياس، إلاّ أنه لم يرد به استعمال إلا من جهة ذلك الإنسان ، فإن الأولى في ذلك أن يحسن الظن به ، ولا يحمل على فساده) [٢]. ويقابل ابن جنّي بين هذا الإنسان الفصيح في لغته فيبيح الأخذ عنه فيما انفرد به ، وآخر ليس على قَدْر كافٍ من الفصاحة فلا يبيح الأخذ عنه ،وفيه يقول : (فإن كان الرجل الذي سمعت منه تلك اللغة المخالفة للغات الجماعة مضعوفاً في قوله ، مألوفاً منه لحنه وفساد كلامه حكم عليه ولم يُسمع ذلك منه) [٣] .

فابن جنّي يدرك إذن أن هناك تفاوتا بين الناس في معرفتهم باللغة وبخبراتهم بها ، ويقيم بينهم تفاضلاً في شأن ذلك بالنظر إلى حال المتكلم من حيث فصاحته وخبراته السابقة باللغة ، إذ يقول في تعليله قبول ما جاء به العربي الفصيح مخالفاً الجمهور : (فإن قيل فمن أين ذلك له ، وليس مسوغاً أن يرتجل لغة لنفسه ، قيل : قد يمكن أن

(١) ابن جني ، الخصائص،ج ١ ، ص ٣٨٣ .

* لم ترد هذه العبارة في النص الأصلي ،بل جاء (. . . في جميع ما عدا)

(٢) ابن جنّي ،المصدر نفسه ، ج ١ ،ص ٣٨٥ .

(٣) ابن جنّي ، المصدر نفسه ، ج ١ ،ص ٣٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يكون ذلك وقع إليه من لغة قديمة قد طال عهدها وعفا رسمها وتأبدت معالمها) [1].

وبعد هل لنا أن نقول ما كان ابن جنّي جاهلا بهذا الجانب واتصاله باللغة ، وإنما كان قد تحسس شيئا من معالمه.

(١) ابن جنّي الخصائص ، ج ١ ،ص ٣٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عناصر التحليل الخارجي في الخصائـــــــص

يرى كارل بيلر عالم النفس النمساوي أن اللغة وهي نظام من العلاقات تعمل كما الآلة التي بواسطتها يتناقل الناس الخبر عن الأشياء ، وتلح هذه الرؤية على أهمية «السياق » أو «الموقف » أو « المقام » عند النظر إلى موضوع الدراسة ، ويصبح من الضروري لفهم وظيفة اللغة من حيث هي آلة أن ننظر إليها في إطار عوامل رئيسية ثلاثة ينتظمها الموقف ، هي : المتكلم ، والمستمع ، والأشياء (أي عناصر الموقف المحسة وأوضاعها) التي هي موضوع الكلام ، ويقوم الرمز اللغوي على التواؤم وهذه العوامل الثلاثة ، فهو يتواءم والمتكلم ويتواءم والمستمع ، ويتواءم وعناصر الموقف وأوضاع الحقيقة الخارجية ، ويقصد بالتواؤم هنا أنه إذا اختلف المتكلم اختلف الرمز اللغوي وفقاً لذلك ، وإذا اختلف المستمع اختلف الرمز أيضاً ، وإذا اختلفت عناصر الموقف وأحواله اختلف الرمز وفقاً لها [١].

فهل أدرك ابن جنّي ما هيّة هذا التواؤم ؟ هل التفت إلى دور المتكلم وحاله في الخطاب اللغوي ؟ وهل تنبه إلى ضرورة تكيف الخطاب اللغوي وحاجة المخاطب وحاله؟ وهل أيقن أثر عناصر الموقف ، وأوضاع الحقيقة الخارجية في الخطاب اللغوي؟ .

(١) انظر نهاد الموسى ، الأعراف أو نحو اللسانيات الاجتماعية ص ١٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً : حال المتكلم :-

وعناية ابن جنّي بالمتكلم ودوره في اللغة واضحة جلية ، إذ عليه يعتمد ، وإليه يحتكم في كثير من تحليلاته وتعليلاته وتسويغاته .

ولعل من المواضع البارزة التي نأنس بها ، ونلمس فيها هذا المذهب عنده في تناوله لقضية العامل ، فالمعلوم أن النحاة قد رأوا أن العامل في إعراب الكلم نوعان : عامل معنوي مثل الابتداء ، وعامل لفظي مثل عمل المبتدأ في الخبر ، لكن ابن جنّي لم يعتقد بهذين العاملين ، حين يقول : (ألا تراك إذا قلت : ضرب سعيد جعفراً ، فإن(ضرب) لم تعمل في الحقيقة شيئاً؛ وهل تحصل من قولك ضرب إلاعلى اللفظ بالضاد ، والراء والباء على صورة فعل ، فهذا هو الصوت ، والصوت مما لا يجوز أن يكون منسوبا إليه الفعل)[1]. ولذا فهو يرى أن العامل الحقيقي في إعراب الكلم إنما هو المتكلم نفسه ومنه قوله : (فأما في الحقيقة ومحصول الحديث ، فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه ، لا لشيء غيره ، إنما قالوا لفظي ومعنوي لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامة اللفظ إلى اللفظ) [2]. ثم يعلل ابن جنّي لجوء النحاة إلى تقسيم العوامل إلى لفظية ومعنوية بقوله : (وإنما قال النحويون : عامل لفظي ، وعامل معنوي ؛ ليُروك أن بعض العمل يأتي مسبباً عن لفظ يصحبه ؛ كمررت بزيد ، وليت عمراً قائم ، وبعضه يأتي عارياً من مصاحبة لفظ يتعلق به ؛ كرفع المبتدأ بالابتداء . . هذا ظاهر الأمر وعليه صفحة القول) [3].

وموضع آخر يشير بشكل مباشر إلى ذلك الحس العميق عند ابن جنّي بدور المتكلم

---

(١) ابن جنّي، الخصائص ، ج ١ ،ص ١٠٩ .

(٢) ابن جنّي، المصدر نفسه ، ج ١ ،ص ١١٠ .

(٣) ابن جنّي، المصدر نفسه ، ج ١ ،ص ١٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في اللغة ، إذ يتنبه إلى أدق التفاصيل في الحالة التي ينبغي أن يكون عليها المتكلم من حيث مدى راحته وفاعليته في الأداء اللغوي ، وذلك في حديثه عن الجمع بين الحرفين المتقاربين من حيث المخرج ،فيرى أن العرب قد قدموا الأقوى من المتقاربين كما في وطد ووتد ، لأن الطاء والتاء أقوى من الدال ، و(ذاك لأن جرس الصوت بالتاء والطاء عند الوقوف عليها اقوى منه وأظهر عند الوقوف على الدال) ، والأمر في تقديم هذا الحرف الأقوى يعود في نظره إلى أن الأقوى يتطلب من المتكلم جهداً أكبر ، فلذا قدم النطق به لأن المتكلم في أول نطقه أقوى نفْساً،وأظهر نشاطا ،ونص مقولته في هذا : (وأنا أرى أنهم إنما يقدمون الأقوى من المتقاربين ، من قبل أن جمع المتقاربين يثقل على النفس ، فلما اعتزموا النطق بهما قدموا أقواهما، لأمرين : أحدهما أن رتبة الأقوى أبداً أسبق وأعلى ؛ والآخر أنهم يقدمون الأثقل ويؤخرون الأخف من قبل أن المتكلم في أول نطقه أقوى نَفْساً ، وأظهر نشاطاً) [1].

وإنّ طلب المتكلم الخفة وتجنبه الثقيل كان يبيح له أن يكيف نطقه والوجه الذي يريحه فلا يكلفه جهداً زائداً ، ولو أدى به هذا إلى مخالفة ما عليه غيره ، ويبدو هذا في تعليق ابن جنّي على قراءة عُمارة فيما رواه عن أبي علي ، فيقول : (حدثنا أبو علي عن أبي بكر عن أبي العباس أنه قال : سمعت عُمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يقرأ ﴿ ولا الليلُ سابقُ النهارَ ﴾ فقلت له ما تريد ؟ قال : أردت سابقٌ النهارَ ، فقلت له : فهّلا قُلته ؟ فقال لو قلته لكان أوزن)، ويعلق ابن جنّي على جواب عُمارة فيقول : (الا تراه إنما طلب الخفّة ، يدل عليه قول : لكان أوزن ، أي أثقل في النفس وأقوى). ويستدل ابن جنّي من جواب عمارة على شيء آخر وهو أن العرب (قد تنطق

(١) ابن جنّي الخصائص ، ج ١ ،ص ٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالشيء غيره في أنفسها أقوى منه ؛ لإيثارها التخفيف) [١]، ويبدو أن قضية الخفة والثقل من القضايا التي كان ابن جنّي يميل للإتكاء عليها في تحليلاته وتسويغاته [٢] ، وعلّ الأمر يرجع في هذا إلى اهتمامه بالمتكلم ، لأن قضية الخفة والثقل ترتبط بهذا المتكلم .

غرض المتكلم :-

ولغرض المتكلم دور فاعل في تكييف الخطاب والغرض الذي يرومه المتكلم ، كأن يبيح حذف أحد الفاظ الجملة كما في المثال الآتي : (وقد حذف المميز ، وذلك إذا عُلم من الحال حكم ما كان يعلم منها به ، وذلك قولك : عندي عشرون ، واشتريت ثلاثين ، وملكت خمسة وأربعين) ، وهذا التركيب قد يكون صحيحا ، وقد يكون غير صحيح وذلك بالنظر إلى قصد المتكلم وغرضه ، فإن قصد المتكلم الإبانة ، ولم يعلم المراد من قوله فسد الحذف ووجب ذكر المميز ، أما إن أراد الإبهام وقصد عدم الإبانة صح التركيب وساغ الحذف ، وفي هذا يقول ابن جنّي : (فإن لم يعلم المراد لزم التمييز وإذا قصد المتكلم الإبانة ، فإن لم يرد ذلك وأراد الإلغاز وحذف جانب البيان لم يوجب على نفسه ذكر التمييز ، وهذا إنما يصلحه ويفسده غرض المتكلم ، وعليه مدار الكلام ، فاعرفه) [٣].

وغرض المتكلم قد يجرد الحرف عن صريح معناه ، فهذا (باب في إقرار الألفاظ على أوضاعها الأول ما لم يَدْعُ داعٍ إلى الترك والتحول)[٤] يتناول ابن جنّي فيه بعض

---

(١) ابن جنّي، الخصائص ، ج ١ ،ص ٢٤٩ .

(٢) انظر "الاستحسان عند ابن جني" . د . محمود جفال ، مجلة دراسات "العلوم الانسانية" العدد ٢ ، المجلد ٢٢ ، ١٩٩٥ .

(٣) ابن جنّي، المصدر السابق ، ج ٢ ،ص ٢٧٨ .

(٤) ابن جنّي، المصدر السابق ، ج ٢ ،ص ٤٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حروف الإستفهام نحو « هل » و« همزة الإستفهام » في استخدامها لغير معنى الاستفهام، كما في قوله تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر ﴾ [١] ؛ فقد قيل في تفسيرها : (يعني جل ثناؤه بقوله : « هل أتى على الإنسان » قد أتى على الإنسان ، و«هل» في هذا الموضع خبر لا جحد ، وذلك كقول القائل لآخر يقرّره : هل أكرمتك ، وقد أكرمه) [٢] .

وقيل فيها ايضاً : (فليست هل للاستفهام لأن الاستفهام محال على الله تعالى ، وقال بعضهم :إن هل للاستفهام ،والجواب مقدر تقديره ؛ فيقال : نعم) [٣] .

أما ابن جنّي فلم يجزم بأحد الرأيين ، بل قال : (قالوا معناه : قد أتى عليه ذلك ، وقد يمكن عندي أن تكون مُبقّاة في هذا الموضع على بابها من الاستفهام ، فكأنه قال - والله أعلم - : هل أتى على الإنسان هذا ؟ ، فلا بد في جوابه من(نعم) ملفوظا بها أو مقدرة) [٤] .

وكذا في قوله تعالى ﴿ آلله أذن لكم ﴾ [٥] ، وقيل في تفسيرها : (والمعنى أخبروني آلله أذن لكم في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه أم تتكذبون على الله في نسبة ذلك إليه ، ويجوز أن تكون الهمزة للإنكار . . . .بمعنى بل أتفترون على الله تقديراً للافتراء) [٦]، ويبدو أن ابن جنّي يميل إلى الرأي الثاني في أنها للإنكار ؛إذ يقول بعد إيراده الآية السابقة : (أي لم يأذن لكم) .

ثم يعمد ابن جنّي بعد ايراده هاتين الآيتين وغيرهما إلى الاستقصاء والتفصيل في

---

(١) آية ١ ،سورة الإنسان / الدهر .

(٢) القرطبي، جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد (١١٢) ، ج ٢٩ ، ص ١٢٥ .

(٣) سليمان الجمل، حاشية الجمل على الجلالين ، ج ١ ص ٤٥١ . المكتبة الاسلامية، دار إحياء التراث ، لبنان.

(٤) ابن جنّي الخصائص ، ج ٢ ،ص ٤٦٢ .

(٥) آية ٥٧ ، سورة يونس .

(٦) الزمخشري، الكشاف ج ٢ ، ص ١٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأسباب التي تدفع بالمتكلم لاستعمال الحرف في غير المعنى الموضوع له أصلاً ، ونجدها أسباباً تتعلق كلها بغرض المتكلم ومرماه . فيقول : وذلك أن المستفهم عن الشيء قد يكون عارفاً به مع استفهامه في الظاهر عنه ، لكن غرضه من الاستفهام عنه أشياء ، منها أن يرى المسئول أنه خفي عليه ليسمع جوابه عنه ، ومنها أن يتعرف حال المسئول هل هو عارف بما السائل عارف به ، ومنها أن يُرى الحاضر غيرهما أنه بصورة السائل المسترشد ؛ لما له في ذلك من الغرض) [١] .

وإن عناية ابن جنّي بالمتكلم وتأثيره في اللغة تبلغ درجة يتجاوز بها إلى التفكير والتأمل فيما قد يعرض للمتكلم من أغراض في مستقبل أيامه حين يقول متابعاً تعديد تلك الأسباب : (ومنها أن يُعّد ذلك لما بعده مما يتوقعه ، حتى إن حلف بعد أنه قد سأله عنه حلف صادقاً ، فأوضح بذلك عذراً ، ولغير ذلك من المعاني التي يسأل السائل عما يعرفه لأجلها ولسببها) ، ثم يعقب بقوله مؤكداً ما ذهب إليه : (فلما كان السائل في جميع هذه الأحوال قد يسأل عما هو عارفه ، أخذ بذلك طرفاً من الإيجاب، لا السؤال عن مجهول الحال ، وإذا كان ذلك كذلك جاز لأجله أن يجرد في بعض الأحوال ذلك الحرف لصريح ذلك المعنى) [٢].

نية المتكلم :-

ومن العوامل التي تشكل عاملاً مؤثراً في اختيار الألفاظ وصياغة التعبيرات أو التراكيب نية المتكلم ، ومثال هذا ما حدث به ابن جنّي عن سيبويه أنه قال : (حدثنا من نثق به أن بعض العرب قيل له : أما بمكان كذا وكذا وجذٌ [٣] ؟ فقال : بلى وجاذاً ،

---

(١) ابن جنّي، الخصائص ، ج٢،ص ٤٦٤ .

(٢) ابن جنّي ، المصدر نفسه ، ج٢ ،ص ٤٦٥ .

(٣) وَجْذ : النقرة في الجبل تمسك الماء ويستنقع فيها ، والجمع وِجْذان ووِجاذ ،لسان العرب مادة (وجذ).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أي أعرف بها وجاذاً، وقال أيضا سمعنا بعضهم يدعو على غنم رجل ، فقال اللهم ضبعاً وذئباً) فقلنا : ما أردت ؟ فقال أردت : اللهم أجمع فيها ضبعاً وذئباً)[١]، ويعلق ابن جنّي على هذا بقول سيبويه نفسه : (كلهم يفسر ما ينوي)[٢] ، ومعنى ذلك أن نيّة المتكلم هي التي تضبط اللفظ وإعرابه.

وقد تكون نية المتكلم مسّوغا للحذف احياناً ، ومن ذلك : إنشاد ابي الحسن :

* ارهن بَنيك عنهُم أرْهَنْ بَنـــي*

يعلل ابن جنّي قول الشاعر : (بني) ، بأنه أراد ونوى (بنيّ) لكنه اضطر لحذف الياء الثانية للقافية ، وكان ينبغي عليه أن يعيد النون التي حذفها للإضافة لكنه لم يفعل لأنه بقي في نية إرادة الياء المحذوفة للقافية ، أما نص قول ابن جنّي فهو : (يريد بنيّ، فحذف الياء الثانية للقافية ، ولم يُعد النون التي كان حذفها للإضافة فيقول : بنين؛ لأنه نوى الياء الثانية ، فجعل ذلك دليلا على إرادتها ونيته إيّاها) [٣].

ذاكرة المتكلم :-

وابن جنّي من الذين التفتوا إلى ذاكرة المتكلم ، وأدركوا أثرها في نطقه لأصوات اللغة وكيفية قراءتها ، فقد تحدث في (باب الساكن والمتحرك) عن قراءة من يقرأ وذاكرته تملي عليه ما يّود قوله بيسر وسهولة فيقرأ بتتابع دون أن يكون بحاجة إلى التأني عند نهايات بعض الألفاظ ليعطي نفسه مهلة لتذكر الكلمة التالية ، وتحدث عن قراءة شخص آخر لا يتمكن من حفظه كل التمكن ، فيضطر للتأني أو التمهل عند النطق بنهايات الألفاظ ليعطي نفسه مهلة ليتذكر اللفظ التالي الذي غاب عن ذهنه لحظة

(١) ابن جنّي، الخصائص ، ج ١ ،ص ٢٤٩ .

(٢) ابن جنّي،المصدر السابق ، ج ١ ،ص ٢٥٠ . وانظر سيبويه ، الكتاب ج ١ ص ٢٥٥ .

(٣) ابن جنّي، المصدر السابق ، ج٣ ،ص ٣٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قراءته،وعليه فإن هذا التأني في الإنتهاء من نطق الصوت الأخير في اللفظ السابق للفظ الذي يودّ تذكره ، يدفعه إلى إطالة هذا الصوت الأخير ومدّه ريثما تسعفه ذاكرته باللفظ الذي يليه ، ويضرب ابن جنّي لهذا أمثلة يوضح مقصوده ومنها الآية الكريمة :﴿ اشترُوا الضلالة ﴾ [١]، فإذا قرأها أحدهم بضم الراء وأراد أن يمدّ الصوت الأخير في « اشتروا» ريثما يتذكر « الضلالة » فإنه سيقرأها بطريقة تتمثل كتابتها بـ « اشتروُوا » وكأنه يضيف واواً أخرى إلى الكلمة .

وأما من يقرأها « اشتروِا الضلالة » فإنه في حالة التذكر ومدّ الصوت سيقرأها بطريقة تتمثل كتابتها بـ « اشتروِي » وكأنه يضيف ياء إلى الكلمة .

ومن يقرأ « اشتروَا الضلالة » بفتح الواو ، فإنه عند مّد الصوت بهذا الحرف سيقرأها بطريقة تتمثل كتابتها بـ « اشتروَآ » وكأنه يضيف ألفاً إلى الكلمة ، وأما نص قول ابن جنّي في هذا فهو (ومن قرأ « اشتروُا الضلالة » قال في التذكر : اشترُووا ، ومن قرأ: اشتروِا الضلالة قال في التذكر: اشتروِي ، ومن قال : اشتروَ الضلالة قال في التذكر : اشترَوَا) [٢].

الحالة النفسية للمتكلم : -

ومن متعلقات المتكلم التي أدرك ابن جنّي دورها وأثرها الفاعلين في الخطاب اللغوي الحالة النفسية التي عليها المتكلم ، سواء أكانت حالة نفسية مستقرة مطمئنة أم مضطربة فزعة ، فها هو يحلل نفسية ذاك القائل : (شر أهر ذا ناب) وقد سمع هرير كلب فاضطرب وفزع أن يكون لطارق شر ، وقد حمل المعنى هنا على النفي كما مّر معنا سابقا ، وكأن الحالة النفسية المضطربة الفزعة قد أملت على المتكلم حذف (ما) و(الا)

(١) آية ١٦ سورة البقرة .

(١) ابن جنّي الخصائص ، ج ٢ ،ص ٣٣٧ . وانظر المصدر نفسه ج ٣ ،ص ١٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طالباً التوكيد للأمر ، تعظيماً عند نفسه أو عند من يخاطبه أو يسمعه ، كما يقول ابن جنّي : (وإنما احتيج إلى التوكيد في هذا الموضع من حيث كان أمرا عانياً مهماً ، وذلك أن قائل هذا القول سمع هرير كلب فأضاف منه وأشفق أن يكون لطارق شر ، فقال شر . . .الخ تعظيماً عند نفسه أو مستمعه) ، ثم يصور ابن جنّي الحالة المعاكسة؛ لو كان الموقف مختلفاً كأن يكون الطارق ضيفاً يستقبله المتكلم مطمئن النفس مستقرها ، حين يقول : (وليس هذا في نفسه كأن يطرق بابه ضيف أو يلمّ به مسترشد) [1]،إذ لا حاجة به تضطره لتكييف خطابه تكييفاً قد يحمله على بعض التجاوزات النحوية كي يصور ما يعتمل في نفسه .

ثانياً : حال المخاطب :-

لقد راعى علم البلاغة العربية المخاطب ، وبخاصة في حديثه عن أغراض الخبر ، وفي تقسيمه لأضرب الجملة الخبرية ؛ الابتدائي ، والطلبي ، والإنكاري .

فغرض الخبر يتحدد بالنظر إلى المخاطب نفسه ؛ فإن أُلقي إليه خبر يجهله ولا يعلمه، فالغرض يكون هنا فائدة الخبر كقولك : (زيدٌ فائز) لمن لا يعلم ذلك .

وإن أُلقي إلى المخاطب خبر يعلمه ولا يجهله ، وكان غرض المتكلم إعلام المخاطب أنه يعلم هذا الخبر يكون الغرض من الخبر لازم الفائدة ، كقولك مثلاً لمن تسلم جائزة : (أنت تسلمت الجائزة) ، وتقصد بخبرك هذا إعلامه أنك تعلم به.

وتقسم الجملة الخبرية إلى أضرب ثلاث تقوم على النظر إلى حال المخاطب بحيث يفصل الخطاب اللغوي وفق احتياجات هذا المخاطب ، فإن كان خالي الذهن من الخبر الذي سيلقي إليه كان للمتكلم أن يستغني عن أدوات التوكيد في خطابه ، كأن يقول :

(١) ابن جنّي ،الخصائص ، ج ١ ،ص ٣١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(زيدٌ صادقٌ) ، وهذه هي الجملة الابتدائية .

وإن كان المخاطب يعلم الخبر ولكنه متردد في قبوله أو تصديقه ، فعلى المتكلم أن يكيف خطابه بحيث يراعي حال المخاطب هذه ، ويلقي إليه خطابه بصورة تحسم له هذا التردد كأن يستخدم أداة توكيد نحو : (إن زيداً صادق) ، أي باستخدام الضرب الطلبي .

وأما إن كان المخاطب يعلم الخبر لكنه منكر له، احتاج المتكلم إلى استخدام غيرأداة توكيد واحدة ، ليردّ بذلك إنكار المخاطب ، فيقول مثلاً : (إن زيداً لصادق) ، وهو المسمى الضرب الإنكاري ، وما تقدم يتفق مع ما ذهب إليه علماء علم اللغة الاجتماعي من أن الرسائل المنطوقة تفصل خصيصاً حسب احتياجات المتلقين .

المثل وحال المخاطب :-

لقد التفت ابن جنّي إلى المخاطب ، وأدرك أن الخطاب اللغوي لا بد أن يوائم حال المخاطب ، ونلمح التفاته هذا في حديثه عن (لا أبالك) ، حين يؤكد ما قاله أبو علي بأنه كلام جرى مجرى المثل ، إذ يرى ابن جنّي أنه يقال لأي مخاطب بغض النظر عن حاله سواء أكان له أب أو لم يكن ، ولو لم يكن مثلاً لما جاز أن تخاطب به إنساناً فقد أباه أصلاً ، كما لا يجوز أن تخاطب الإنسان الأعمى بقولك أعماك الله أو الإنسان الفقير فتقول له : أفقرك الله ، لأن الكلام حينئذ لن يكون مراعياً المخاطب وحاله .

ويوضح ابن جنّي قائلاً: (وذلك أن قولهم : « لا أبا لك » كلام جرى مجرى المثل، وذلك أنك إذا قلت هذا فإنك لا تنفي في الحقيقة أباه ، وإنما تخرجه مُخَرج الدعاء؛ أي أنت عندي ممن يستحق أن يُدْعى عليه بفقد أبيه ومنه قول القائل :

وتترك اخرى فردة لا أخا لها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يقل: لا أخت لها ، ولكن لما جرى هذا الكلام على أفواههم (لا أبا لك) و (لا أخالها) قيل مع المؤنث على حدّ ما يكون عليه مع المذكر .

ومثل آخر يورده ابن جنّي مؤكدا أن قول المثل لا يشترط أن تطابق صيغة الخطاب فيه حال المخاطب ، ويقول : (فجرى هذا نحواً من قولهم لكل أحد من ذكر وأنثى واثنين وجماعة « الصيف ضيعت اللبن » على التأنيث ؛ لأنه كذا جرى أوله . . . . وإذا كان الأمر كذلك علم أن قولهم (لا أبا لك) لا حقيقة لمعناه مطابقة للفظ ، وإنما هي خارجة مُخرج المثل [١].

علم المخاطب مسوغ للحذف : -

ومن مراعاة المتكلم لحال المخاطب أن يحذف المتكلم بعض الألفاظ لعلم المخاطب بها، ومثاله : قولك للقادم من سفر : خيرَ مَقْدم ، أي قدمت خير مقدم ، فتحذف (قدمت) لعلم المخاطب بحاله ، ومثله قولك للقادم من حجّة : مبرور مأجور ، أي أنت مبرور مأجور ، ومبروراً مأجوراً ، أي قدمت مبروراً مأجوراً فتحذف ما يستغني عنه المخاطب لعلمه به .

ويعلل ابن جنّي حذف أحدهم حرف الجر الباء لعلم المخاطب به إذ يقول : (وكان رؤبة إذا قيل له كيف أصبحت يقول : خيرٍ عافاك الله - أي بخير - يحذف الباء لدلالة الحال عليها بجري العادة والعرف بها) [٢] .

وعلى نحو من هذا وجه ابن جنّي قراءة حمزة قوله تعالى: ﴿ واتقوا الله الذين تساءلون به والأرحام) [٣]، بجر الأرحام بباء ثانية أي (وبالأرحام) ثم حذفت الباء ؛

---

(١) ابن جنّي، الخصائص ، ج ١ ،ص ٣٤٤ .

(٢) ابن جنّي، المصدر السابق ، ج ١ ،ص ٢٨٥ .

(٣) آية ١، سورة النساء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لتقدم ذكرها وبالتالي لعلم المخاطب أو السامع بها ، وقد كانت هذه الآية موضع خلاف بين النحاة من حيث سبب جر (الأرحام) فقد ذهب الكوفيون إلى أنه مجرور بالعطف على الضمير في (به) ، ورفض البصريون هذا ؛ أي العطف على الضمير المخفوض، واحتجوا بأن قالوا : (إنما قلنا أنه لا يجوز ، وذلك لأن الجار مع المجرور بمنزلة شيء واحد ، فإذا عطفت على الضمير المجرور - والضمير إذا كان مجرورا اتصل بالجار، ولم ينفصل منه ، ولهذا لا يكون إلا متصلاً - فكأنك قد عطفت الإسم على الحرف الجار ، وعطف الإسم على الحرف لا يجوز) ثم يورد ابن الأنباري وجهين لجر (الأرحام) ؛ يوافق في أحدهما ابن جنّي فيقول : إن قوله (والأرحام) مجرور بباء مقدرة غير الملفوظ بها ، وتقديره وبالأرحام ، فحذفت لدلالة الأولى عليها [1] .

مكانة المخاطب :-

ومن المواضع التي التفت فيها ابن جنّي إلى حال المخاطب ومراعاتها في الخطاب اللغوي حديثه عن مخاطبة الملوك ، إذ إن الملوك لم تخاطب بأسمائها إعظاما لها ، فيقول : (إن أصغر الناس قدراً قد يخاطب أكبر الملوك محلاً بالكاف [2] من غير احتشام منه ، ولا إنكار عليه ، وذلك نحو قو ل التابع الصغير للسيد الخطير: قد خاطبت ذلك الرجل، واشتريت تينك الفرسين ، ونظرت إلى ذينك الغلامين ، فيخاطب الصاحب الأكبر بالكاف ، وليس الكلام شعراً فتحتمل له جرأة الخطاب فيه ، كقوله : لقينا بك الأسد ، وسألنا منك البحر ، وأنت السيد القادر ، ونحو ذلك .

وعلة جوازه عندي أنه لم تخاطب الملوك بأسمائها إعظاماً لها ؛ إذ كان الاسم دليل

---

(١) انظر ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، المسألة ٦٥ .

(٢) الكاف في نحو :ذلك واولئك ، و "ارأيتك زيداً ما صنع؟ " هي حرف خطاب مخلوعة عنه دلالة الاسمية، ومن زعم أن الكاف في (ذلك) اسم انبغى له أن يقول : ذلك نفسك ،ولا موضع لهذه الكاف من الإعراب، انظر ابن جنّي ج ٢ ، ص ١٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعنى، وجارياً في أكثر الإستعمال مجراه ؛ حتى دعا ذاك قوماً إلى أن زعموا أن الاسم هو المسمى، فلما أرادوا إعظام الملوك وإكبارهم تجافَوْا وتجانفوا عن ابتذال أسمائهم التي هي شواهدهم ، وأدلة عليهم ، إلى الكناية بلفظ الغيبة ، فقالوا :إن رأي الملك أدام الله علوّه ، ونساله حرس الله مُلكه ، ونحو ذلك ، وتجانفوا (إن رأيت) ، و(نحن نسالك) ؛ فلما خلعت عن هذه الكاف دلالة الاسمية وجردت للخطاب البتّة جاز استعمالها ؛ لأنها ليست باسم فيكون في اللفظ به ابتذال له ، فلما خلصت هذه الكاف خطابا البتة، وعريت من معنى الاسمية ، استعملت في خطاب الملوك لذلك)[1].

ويطيل ابن جنّي الوقوف عند مسالة مخاطبة الملوك ومن يلحق بهم من ذوي السلطان والمكانة ، فيتساءل إن جاز مخاطبة الملك بـ (أنت) في غير الشعر مثلاً ، إذ التاء أيضا للخطاب كما كانت الكاف للخطاب ، وكلاهما مخلوع عنه دلالة الأسمية ، وبعد طرح تساؤله هذا يجيب بأنه لا يجوز ، ويعلل قائلاً:(قيل: التاء في (أنت) وإن كانت حرف خطاب لا اسماً ، فإن معها نفسها الاسم وهو (أن) من (أنت) فالاسم على كل حال حاضر ، وإن لم تكن الكافُ وليس كذا قولنا (ذلك) ؛ لأنه ليس للمخاطب بالكاف هنا اسم غير الكاف ؛ كما كان له مع التاء في (أنت) اسم للمخاطب نفسه ، وهو (أن) فاعرف ذلك فرقا بين الموضعين)[2] .

إذن فقد عرف ابن جنّي أن الكلام يتأثر بطبيعة المسافة الاجتماعية بين المتكلم والمخاطب ، فيصاغ هذا الكلام صياغة تتناسب وهذه المسافة الاجتماعية بين المتحدثين .

---

(١) التاء والكاف هنا اسمان.

(٢) ابن جنّي الخصائص ، ج ٢ ،ص ١٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملل المخاطب : -

ومسألة الإملال من المسائل التي أُخذت بعين الاعتبار عند ابن جنّي، فنجده قد التجأ إليها في بعض تعليلاته للمسائل اللغوية، والإملال من الأمور التي تتعلق بالمتكلم من جهة وبالمخاطب من جهة أخرى ، وترتبط بنفسية كل منها، ولقد وعى ابن جنّي أثر الناحية النفسية في كلام المتكلم ، وأثرها في تلقي المخاطب ، فإحساس المتكلم بالملل من تكرار لفظ ما يدفعه لتغيير الفاظه أو تبديلها طلبا للتنويع ودفعاً للملل، وإحساس المخاطب بالملل جراء تكرار لفظ ما على مسمعه قد يؤدي به إلى الإنصراف عن متابعة سماع المتكلم، ولذافحرْص المتكلم على جذبه للمخاطب يفرض عليه أن يراعي نفسية هذا المخاطب فيجنبه الشعور بالملل عن طريق التنويع مثلاً في حروفه أو الفاظه أوصيغه.

ويبين ابن جنّي أن العرب مع ميلها إلى الإيجاز كانت تضطر أحيانا إلى الإطالة ، ولكنها كانت تراعي عدم الإملال في هذه الإطالة ومنه قوله : (واعلم أن العرب إلى الإيجاز أميل ، وعن الإكثار أبعد ، ألا ترى أنها في حال إطالتها وتكريرها مؤذنة باستكراه تلك الحال وملالها ، ودالة على أنها إنما تجشمتها لما عناها هناك وأهمها ؛ فجعلوا تحمل ما في ذلك على العلم بقوة الكلفة فيه ، دليلاً على إحكام الأمر فيما هم عليه) ، ويوضح قوله هذا ويؤكده في تفسيره لقول العرب في التوكيد : أجمعون ، أكتعون ، أبصعون ، أبتعون .

حين يقول : (ووجه ما ذكرناه من ملالتها الإطالة - مع مجيئها بها للضرورة الداعية اليها - أنهم لما أكدوا فقالوا : أجمعون، أكتعون، أبصعون ، أبتعون، لم يعيدوا «اجمعون» البتة ، فيكرروها فيقولوا : أجمعون ، أجمعون ،أجمعون ،فعدلوا عن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إعادة جميع الحروف إلى البعض ، تحامياً - مع الإطالة - لتكرير الحروف كلها) [١] .

وابن جنّي يجعل من رغبة العرب في تجنب الإملال العلة الرئيسية في حدوث بعض الظواهر اللغوية ، كما في قلب الياء واواً في بعض الألفاظ لا لعلة لغوية محضة وإنما تجنباً للإملال وطلباً للتغيير أو التنويع .ومنه قوله : (ألا ترى إلى كثرة غلبة الياء الواو في عامّ الحال ، ثم مع هذا فقد ملّوا ذلك إلى أن قلبوا الياء واواً قلبا ساذجا ، أو كالساذج لا لشيء أكثر من الإنتقال من حالٍ إلى حال ؛فإن المحبوب إذا كثر مُلَّ ؛ وقد قال النبي « صلى الله عليه وسلم » : (يا أبا هريرة زُرْ غبّاً تزدد حبّاً) [٢] . . وذلك الموضع الذي قلبت فيه الياء واواً على ما ذكرناه لام فَعْلى إذا كانت اسماً من نحو : الفتوى ،والرعوى . .) [٣] وقد تناول القلب في (فَعْلى) مرة ثانية في باب الإستحسان وقدم له بقوله :(ومن ذلك تركك الأخف إلى الأثقل من غير ضرورة ؛ نحو قولهم : الفتوى ، والبقوى ، ألا ترى أنهم قلبوا الياء هنا واواً من غير استحكام علة أكثر من أنهم أرادوا الفرق بين الإسم والصفة ، وهذه ليست علة معتدة) [٤] ،وقوله : (تركك الأخف إلى الأثقل) يؤكد صحة تعليله القلب بالإملال لأن الأصل في الإنسان أن يترك الأثقل إلى الأخف، ومسألة ترك الأخف إلى الأثقل يدرجها د. جفال ضمن ضروب الاستحسان الأربعة التي عددها عند ابن جنّي [٥].

أما استشهاد ابن جنّي بحديث (زر غبّاً تزدد حبّاً) فلعله يوميء إلى إحساسه باجتماعية اللغة ، وكأنه ينظر إليها على أنها نشاط اجتماعي يمارسه الإنسان كأي نشاط

---

(١) ابن جنّي، الخصائص ، ج ١ ، ص ٨٣ .

(٢) رواه الطبراني.

(٣) ابن جنّي ،المصدر السابق ، ج ١ ،ص ٨٧ .

(٤) ابن جنّي ،المصدر السابق ، ج ١ ،ص ١٣٤ .

(٥) انظر بحث "الإستحسان عند ابن جني" ص ٢٨ ، ٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

آخر كالعمل والتعلم والسفر والزيارة . . . . الخ ، يتفاعل معه جسديا ونفسياً ، وكذا يتأثر به .

نفسية المخاطب : -

وأمثلة عديدة يوردها ابن جنّي حول إيثار العرب الإيجاز في كلامهم خاصة إذا دعا لذلك داعٍ كالحالة النفسية للمخاطب، ومن ذلك تلك الحكاية التي يرويها عن أبي الحسن علي بن عمرو عقيب هروبه من مصر حين قال : (أذمّ [١] لنا غلام من بادية الشام، وكان نجيباً متيقظاً . . . . فبعدنا عن الماء في بعض الوقت ، فأضرّ ذلك بنا ، قال: فقال لنا ذلك الغلام : على رِسْلكم فإني أشمّ رائحة الماء ، فأوقفنا بحيث كنا ، وأجرى فرسه ، فتشرف ههنا مستشفاً ثم عدل عن ذلك الموضع إلى آخر مستروحاً للماء ففعل ذلك دفعات ، ثم غاب عنا شيئا وعاد إلينا ، فقال : النجاة والغنيمة ، سيروا على اسم الله تعالى ؛ فسرنا معه قدْراً من الأرض صالحاً ، فأشرف بناء على بئر ، فاستسقينا وأرْوينا) [٢] ، وكأن هذا الغلام قد راعى حال المخاطبين الذين يترقبون بلهفة بشرى العثورعلى الماء والنجاة من هلاك العطش ، وهذا الموقف لا يحتمل الإطالة في الكلام أوالتفصيل ، وإنما يتطلب إيجازاً مفيداً ، شافياً غليل هذا المخاطب الذي يخاف الهلاك ، ويرجو النجاة ، فجاء هذا الغلام بألفاظه بالقدْر الذي يحتاج إليه ، فهتف النجاة والغنيمة.

ثالثا : الحال المشاهدة : -

وإن كان البحث قد أشار إلى أن ابن جنّي قد رأى في الحال المشاهدة الركيزة الثانية

---

(١) الذمة والذّمام: العهد والأمان والضمان والحرمة والحق ، وأذمّ له عليه : أخذ له الذمة ، لسان العرب مادة (ذمم).

(٢) ابن جنّي الخصائص ، ج ١ ،ص ٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الخطاب اللغوي إلى جانب العنصر اللفظي الذي يمثل الركيزة الأولى ، فليس وقوفنا ثانية عند عنايته بالحال المشاهدة إلا بهدف تتبع المواضع التي عدّ ابن جنّي فيها الحال المشاهدة تمثل عنصراً من عناصر التحليل اللغوي .

وأول موضع يُطالعنا به الخصائص منبئاً عن عناية ابن جنّي بالحال المشاهدة هو في حديثه عن الفرق بين القول والكلام ، حين يشير إلى سبب تسميتهم الاعتقادات والآراء قولاً فلأن الاعتقاد يخفى فلا يعرف إلا بالقول ، أو بما يقوم مقام القول : من شاهد الحال ؛ فلما كانت لا تظهر إلا بالقول سميت قولاً ؛ إذ كانت سبباً له ، وكان القول دليلاً عليها) [١].

ومنه ايضاً ما ورد في حديثه عن سعة مذاهب القول ، وضيق مذاهب الكلام فيقول: (وإن جاز أن نسمي الرأي والاعتقاد قولاً ، وإن لم يكن صوتا، كانت تسمية ما هو أصوات قولاً أجدر بالجواز ، ألا ترى أن الطير لها هدير . . . والسحاب لها دوى ، فأما قوله [٢] :

***وقالت له العينان سمعاً وطاعـــــةً ***

فإنه وإن لم يكن منها صوت ، فإن الحال آذنت بأن لو كان لهما جارحة نطق لقالتا سمعاً وطاعة) [٣] .

ففي الموضعين المتقدمين يصرح ابن جنّي أن الحال المشاهدة قد تقوم مقام القول فتؤدي معناه المنشود وغرضه المقصود، وحتى في حال غيابه تماما، فنظرة العين ونوع الانفعال الذي تشيعه قد يبوحان بمعانٍ وأغراض يدركها الرائي أو يحس بها المشاهد للحال عموماً.

---

(١) ابن جنّي الخصائص ، ج ١ ،ص ١٩ .

(٢) من قول احدهم : قالت له العينان سمعاً وطاعة : وابدت كمثل الدر لما يثقب.

(٣) ابن جنّي ،المصدر السابق ، ج ١ ،ص ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحال المشاهدة والإعراب : -

لقد ربط ابن جنّي ربطاً مباشراً بين صيغة الخطاب اللغوي وبين الحال المشاهدة التي جعلها مفتاح فهم المعنى الصحيح ، ووسيلة إزالة اللبس الذي قد يحمله هذا الخطاب أحياناً ، فقد جاء في باب القول على الإعراب : (هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ ؛ ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيدٌ أباه ، وشكر سعيداً أبوه ، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ، ولو كان الكلام شَرْجاً واحداً لا ستبهم أحدهما من صاحبه) ، إذن فقد جاز التقديم والتأخير في المفعول والفاعل حين تكفل الإعراب الإبانة عن المعنى ، أما حين يعجز الإعراب عن هذه الإبانة كما في (ضرب يحيى بشرى) أي مما يخفى في اللفظ حاله التزم تقديم الفاعل وتأخير المفعول ، لكن (إن كانت هناك دلالة أخرى من قبل المعنى وقع التصرف فيه بالتقديم والتأخير ؛ نحو أكل يحيى الكمثرى :لك أن تقدم وأن تؤخر كيف شئت ، . . . وكذلك لو أمات إلى رجل وفرس. فقلت : كلم هذا هذا فلم يجبه ، لجعلت الفاعل والمفعول أيهما شئت ؛ لأن في الحال تبياناً لما تعني) [١] ،أي أن المخاطب يرى أمامه رجلاً وفرساً وعليه فهو يدرك حتماً من المتكلم دون حاجته إلى إعراب يفصح له عن المعنى ، ومنه أيضاً أنك لو أشرت إلى أم وابنتها وخاطبت أحدهم بقولك : (ولدت هذه هذه) جاز لك أن تجعل الفاعل والمفعول أيهما شئت من حيث كانت الحال المدركة من المخاطب تكفل له الإبانة عن المعنى السليم إذ حال الأم من البنت معروفة [٢].

الحال المشاهدة وجلاء المعنى :-

وينظر ابن جنّي إلى الخطاب اللغوي من زاويتين ؛ زاوية بنائه الداخلي الذي تشكله

(١) ابن جنّي، الخصائص ، ج ١ ،ص ٣٥ .

(٢) انظر ابن جنّي، المصدر نفسه ج ١ ص ٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الألفاظ ، وزاوية بنائه الخارجي المتمثل بالمحيط الخارجي للخطاب اللغوي، أو الحال المشاهدة بمفرداتها من إشارة ، أو حركة أو انفعال، أو مستمع أومشاهد . . . الخ ، وتستطيع أن تتبين بشكل واضح رؤيته المميزة بين هذين الجانبين والمدركة لدور وأثر كل منهما في الخطاب اللغوي ، في المواضع الآتية :

يحدثنا ابن جنّي أن العربي (محافظ على لغته ، لا يخالف شيئاً منها ولا يوجد عنده تعادٍ فيها . . . لأنهم يحتاطون ، ويقتاسون ، ولا يفرطون ، ولا يخلطون ، ومع هذا فليس شيء مما يختلفون فيه - على قلته وخفته- إلا له من القياس وجه يؤخذ به . . . . والذي يدل على أنهم قد أحسّوا ما أحسسنا ، وأرادوا وقصدوا ما نسبنا إليهم إرادته وقصده شيئان :

أحدهما حاضر معنا ، والآخر غائب عنا ، إلا أنه مع أدنى تأمل في حكم الحاضر معنا) [١]، فقوله (الحاضر معنا) إنما هو اللغة نفسها أو الخطاب اللغوي ببنائه الداخلي،وأما (الآخر الغائب عنا) فهو البناء الخارجي أو الحال المشاهدة ، ونترك لابن جنّي يفصّل ويفسّر حقيقة ما يعنيه به : (فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهدة من أحوال العرب ووجوهها ، وتضطر إلى معرفته من أغراضها وقصودها : من استخفافها شيئا أو استثقاله،وتقبله أو إنكاره ، والأنس به أو الاستيحاش منه ، والرضا به أو التعجب من قائله ، وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقصود ، بل الحالفة على ما في النفوس) [٢].

ويمثل ابن جنّي على قوله هذا بحادثة تلك المراة التي قص الشاعر خبرها حين

---

(١) ابن جنّي، الخصائص ، ج ١ ،ص ٢٤٥ .

(١) ابن جنّي المصدر نفسه ، ج ١ ،ص ٢٤٥ . وانظر عبد الكريم مجاهد الدلالة اللغوية عند العرب . ص ١٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استنكرت هيئة ذلك الرجل الذي عُقد له عليها فقالت :

*** أبعلي هذا بالرحى المتقاعــس***

ويسعفنا الشاعر بروايته الحال الشاهدة التي كانت عليها المرأة حين نطقت بقولها متعجبة مستنكرة فقال[١] :

تقول - وصكت وجهها بيمينها - أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

فيقول ابن جنّي معلقاً : (فلو كان حاكياً عنها : « أبعلي هذا بالرحى المتقاعس» من غير أن يذكر صك الوجه - لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجبة منكرة ، لكنه لما حكى الحال فقال : (وصكت وجهها) علم بذلك قوة إنكارها ، وتعاظم الصورة لها ، هذا مع أنك سامع لحكاية الحال ، غير مشاهد لها ، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف ، ولعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين)[٢] .

إذن فحتى رواية الحال لا تضعنا أمام حقيقة الموقف كما حدث فعلاً ، فإشارة عين ، أوافعال نفسٍ، أو تعبير وجه،لن تقوى الحروف على تصويره ونقله ولذا يقول :(ولو شاهدتها لكنت بها أعرف لأنه يعنى بكل صغيرة وكبيرة ، وتهمه أدق تفصيلات الموقف،إذ كلها تشترك في بناء الخطاب اللغوي .

الحال المشاهدة تقوم مقام اللفظ المحذوف:-

والحال المشاهدة قد تقوم مقام أحد الفاظ الخطاب اللغوي ويستغنى بها عنه ، فيحذف البتة ، وفي هذا يقول ابن جنّي : (. . فالعمل الآن إنما هو لهذه الظواهر المقامات مقام الفعل الناصب ، ومن ذلك ما أقيم من الأحوال المشاهدة مقام الأفعال الناصبة ؛ نحو

(١) هو نعيم بن الحارث بن يزيد السعدي . لسان العرب مادة (ردع) وقد أورد اللسان بيتاً آخر من القصيدة :

ألستُ أرّد القِرن يركب رَوْعة وفيه سنان ذو غرارين نائس .

(٢) ابن جنّي، الخصائص ، ج ١ ،ص ٢٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قولك إذا رأيت قادماً: خير مقدم ، فنابت الحال المشاهدة مناب الفعل الناصب)[١].

وكان سيبويه قد تناول هذه المسألة فقال : (ومما ينتصب على إضمار الفعل المستعمل إظهاره ، أن ترى الرجل قد قدم من سفر فتقول : خيرَ مقدم) [٢].

وإن كان مؤدى العبارتين واحداً عند سيبويه وابن جنّي إلا أن عبارة ابن جنّي تنبيء عن تبلور فكرة الحال المشاهدة في ذهنه وإدراكه أبعادها في الخطاب اللغوي .

وموضع آخر يلتفت فيه ابن جنّي إلى بعض من مفردات الحال المشاهدة كالذي يصدر عن المتكلم من تنغيم أوتطويح أو تطريح أو تفخيم ، أو تعظيم متبعاً به حديثه أو كلامه بغية إضافة دلالة ما أو بغية تنبيه المخاطب إلى معنى معين ، ومنه قوله : (وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها ، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب [٣] من قولهم : سير عليه ليل ، وهم يريدون : ليل طويل ، وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دلّ من الحال على موضعها ، وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله : طويل أو نحو ذلك) [٤]. ومؤدى القول أن المتكلم قد حذف أحد الفاظ التركيب واستغنى عنه بتنغيم صوته بأسلوب معين موحياً للمخاطب بالمعنى الذي ينشده .

وبعد فهذه وقفات هنا وهناك مع ابن جنّي وتناوله للحال المشاهدة تبيح ترداد مقولة : (إن الأصالة في سياق الحال إنما هي لابن جنّي من اللغويين العرب ، وليست للغوي الإنجليزي فيرث) ، فقد لاحظنا أن الإطار الذي يدور ضمنه كل منهما في نظرته للحال

---

(١) انظر سيبويه، الكتاب، ج ١ ص ٢٧٠ .

(٢) ابن جنّي ،الخصائص ، ج ٢ ،ص ٢٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المشاهدة ومعالجته لها واحد، غير أن فيرث (قد عمل لسياق الحال نظرية منظمة) [١] .

في حين بقي الأمر عند ابن جنّي رؤى ومقولات متفرقة في ثنايا كتابه الخصائص ، وإن كان يصدر عنها صدوراً مباشراً مقصوداً حين كان يعدها - أي الحال المشاهدة - عنصراً رئيسياً من عناصر تحليله اللغوي الخارجي.

(١) عبد الكريم مجاهد، الدلالة اللغوية عند العرب ص ١٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مظاهر التحليل
الخارجي في الخصائص

وكي تبدو صورة منهج ابن جنّي في التحليل الخارجي واضحة جلية، لا بد من الوقوف عند مظاهر هذا التحليل. المتمثلة في تحليله للأصوات، والأبنية، والإعراب، والنظم، والذكر، والحذف، فتتبين اتكاءه على عناصر العالم الخارجي للحدث اللغوي، من معنى ومتكلم ومخاطب، وحال مشاهدة، وكل ما يرتبط بهؤلاء من حقائق كونية عديدة متنوعة، تتصل بحياة الناس وعاداتهم، وبعقيدتهم وشرعهم. وبعاداتهم وبتقاليدهم، أو ما اعتادوا عليه وألفوه في أمورهم الدنيوية، وما يتصل بخبراتهم حول لغتهم، وأفعالهم الحياتية.

أولاً : الأصوات:

لقد تناول ابن جنّي دراسة أصوات اللغة بشيء من التفصيل. إذ تحدث عن معنى الصوت، وتحدث عن ترتيبه بين أصوات اللفظ الواحد، وتحدث عن اجتماع الصوت مع أصوات معينة، وتحدث عن حركة الصوت وسكونه، كل ذلك من خلال ربطه بالعالم الخارجي وعناصره من متكلم ومخاطب أو سامع إلى غير ذلك.

مشاكلة الصوت طبيعة الحدث:

يرى ابن جنّي أن العلاقة بين أصوات اللفظ ومجريات العالم الخارجي علاقة وثيقة، وكأن الصوت مرآة تصور أو تعكس ماهية الفعل أو الحدث الذي يدل عليه اللفظ. إذ يقول: فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ونهج مُتْلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأحداث المعبّر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما تقدره وأضعاف ما تستشعره) [١].

ويمايز ابن جنّي بين الخاء والقاف. فالخاء لرخاوتها عبروا بها عن الخَضْم وهو لأكل الرّطب؛ كالبِطّيخ والقِثّاء، أما القاف فلصلابتها عبّرت عن أكل الصلب اليابس من نحو: قضِمت الدابة شعيرها. ونص قوله في هذا الموضع : (ومن ذلك قولهم: خَضِم، وقضِم فالخَضْم لأكل الرّطب؛ كالبطّيخ والقِثّاء، وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقَضْم للصلب اليابس، نحو قضمت الدابة شعيرها. . فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس؛ حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث).

وكذلك يمايز بين الطاء والدال، فيرى أن الطاء أحصر للصوت وأسرع قطعاً له من الدال. ويصف الدال بأنها مماطلة، وعليه فقد اختيرت كل واحدة منها لتدل على الفعل الذي يماثلها في كيفية حدوثه.

وفي هذا يقول: (ومن ذلك القدّ طولاً، والقطّ عرضاً، وذلك أن الطاء أحصر للصوت وأسرع قطعاً له من الدال، فجعلوا الطاء المناجزة لقطع العَرْض، لقربه وسرعته؛ والدال المماطلة لما طال من الأثر، وهو قطعة طولاً) [٢]، فالزمن الذي يستغرقه نطق الطاء أقصر من الزمن الذي يستغرقه نطق الدال، ومقابل هذا إن الزمن الذي يستغرقه القطّ أقصر من الزمن الذي يستغرقه القدّ، إذ القطع فيه عرضاً والثاني القطع فيه طولاً.

---

(١) ابن جني: الخصائص ، ج٢، ص ١٥٨

(١) ابن جني: الخصائص ، ج٢، ص ١٥٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أثر الصوت في المخاطب:

ويحسّ ابن جنّي أن الأصوات اللغوية تتفاوت فيما بينهما من حيث درجة القوة التي قد تكون نابعة من مدى الجهد المبذول في نطق الصوت اللغوي، ويربط بين أثر هذه القوة على مسمع المخاطب وبين المعنى الذي يدل عليه هذا الصوت. فما يستقبحه الناس كثيراً أُختير له الصوت الأقوى وما يقل استقباح الناس له أُختير له الصوت الأضعف، ومنه قول ابن جنّي : (ومن ذلك قولهم: «الخذا» في الأذن، والخذأ: الاستخذاء) [١].

فجعلوا الواو في خذواء - لأنها دون الهمزة صوتاً - للمعنى الأضعف، وذلك أن استرخاء الأذن ليس من العيوب التي يُسبّ بها، ولا يتناهى في استقباحها، وأما الذلّ فهو من أقبح العيوب، وأذهبها في المزراةِ والسبّ؛ فعبروا عنه بالهمزة لقوتها، وعن عيب الأذن المحتمل بالواو، لضعفها، فجعلوا أقوى الحرفين لأقوى العيبين، وأضعفهما لأضعفهما) [٢].

سوق الأصوات على سمت المعنى المقصود:-

ويعمق ابن جنّي نظرته ليرى أن ترتيب أصوات اللفظ ليس عشوائياً، وإنما تحكمه الكيفية التي يتم بها الفعل أو الحدث في واقع الأمر، إذ تتجاوب اللغة وأدقّ تفصيلات عالمها الخارجي المتصلة به، فالصوت الأول من اللفظ يدل على المرحلة الأولى من الفعل، والصوت الثاني يدل على المرحلة الثانية ، وهكذا، وفيه يقول ابن جنّي: (وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعّبر عنها بها ترتيبها، وتقديم ما يضاهي أول الحدث، وتأخير ما يضاهي آخره، وتوسيط ما يضاهي أوسطه،

---

(١) خذا: خذا الشيء يخذو خَذْواً: استرخى، وخذيت الأذن، استرخت ،لسان العرب (خذا).

خذأ : خذئ له. وخذأ له: خضع وانقاد، لسان العرب مادة (خذأ).

(٢) ابن جني، الخصائص ، ج٢، ص ١٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود، والغرض المطلوب، وذلك قولهم: بحث، فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والحاء لصحلها [١] تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب إذا غارت في الأرض، والثاء للنفث، والبث للتراب، وهذا أمر تراه محسوساً محصلاً) [٢].

ومن أمثلته في هذا المنحى؛ مسايرة الصوت لما يدل عليه اللفظ، قوله: (جرّ الشيء يجره؛ قدموا الجيم لأنها حرف شديد، وأول الجر بمشقة على الجار والمجرور جميعاً، ثم عقبوا ذلك بالراء، وهو حرف مكرر، وكرروها مع ذلك في نفسها، وذلك لأن الشيء إذا جرّ على الأرض في غالب الأمر اهتز عليها، واضطرب صاعداً عنها، ونازلاً إليها، وتكرر ذلك منه على ما فيه من التعتعة والقلق، فكانت الراء - لما فيها من التكرير، ولأنها ايضاً قد كررت في نفسها في (جرّ) و (جررت) - أوفق لهذا المعنى من جميع الحروف غيرها) [٣].

ارتباط المعنى بأصوات مخصوصة:-

ويقيم ابن جنّي علاقات بين الأصوات اللغوية نفسها، حين يلمح أن اجتماع أصوات مخصوصة يلازمه أو يرتبط به معنى معين، ومثاله اجتماع الدال، والتاء، والطاء، والراء، واللام، والنون إذا أضيفت لهن الفاء، كان المعنى للوهن والضعف، ويورد لذلك الفاظاً تثبت ما ذهب إليه فيقول: (ومن طريف ما مرّ بي في هذه اللغة التي لا تكاد يعلم بُعدها، ولا يحاط بقاصيها، ازدحام الدال، والتاء، والطاء ، والراء، واللام، والنون،إذا ما زجتهن الفاء على التقديم والتأخير، فأكثر أحوالها ومجموع معانيها أنها

(١) صَحِل: صَحِل صوته: بحّ، لسان العرب مادة (صحل).

(٢) ابن جني ، الخصائص ، ج٢، ص ١٦٢

(٣) ابن جني: المصدر نفسه، ج٢، ص ١٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للوهن والضعف ونحوهما. من ذلك (الدالف) للشيخ الضعيف، والشيء التالف، والطليف، والظليف، المَجّان، وليس له عصمة الثمين، والطنف، لما أشرف خارجاً عن البناء وهو الأضعف، لأنه ليست له قوة الراكب الأساس والأصل، والنطَف العيب، وهو إلى الضعف، والدنف المريض. . .) [١].

تجاوب حركة الصوت وسكونه مع أداء المتكلم:-

وحركات الأصوات وسكناتها تتجاوب وطبيعة الفعل الإنساني، فشروع المتكلم بالنطق هو ابتداء حركة. وعليه فالصوت الأول في لغتنا متحرك. والإنتهاء من النطق مؤذن بالسكون، وعليه فالصوت المنتهى به ساكن، ومنه قوله: (ألا ترى أن الابتداء لما كان أخذاً في القول، لم يكن الحرف المبدوء به إلا متحركاً، ولما كان الانتهاء أخذاً في السكوت، لم يكن الحرف الموقوف عليه إلا ساكناً) [٢].

استثقال المتكلم لتوالي بعض الأصوات يمنع اجتماعها:-

ويتحدث ابن جنّي عن التنافر بين بعض الأصوات اللغوية، فلا يؤلف اجتماعها متتالية في اللفظ، وسبب هذا التنافر إنما مرجعه إلى المتكلم نفسه إذ يستثقل النطق بهذه الأصوات متتالية لقرب مخارج النطق بها فيكلفه ذلك عناءً وجهداً بمكنته تجنّبه والاستغناء عنه بما يسهل عليه نطقه.

ويورد ابن جنّي أمثلة على هذه الأصوات وعلى هذه التراكيب التي أهملت عند العرب، ومنها: (سص، طس *، وظث، وثظ، وضش، وشض) ثم يتابع قوله بعد إراده هذه الأمثلة: (أما إهمال ما أهمل مما تحتمله قسمة التركيب في بعض الأصول

---

(١) ابن جني، الخصائص، ج٢، ص١٦٦

(١) ابن جني: المصدر نفسه، ج١، ص ٥

* يبدو ان الصواب هنا هو (صس) لأن ابن جني قد أبدل مكان الصوت في كل الكلمات الواردة في المثال.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المتصورة، أو المستعملة، فأكثره متروك للإستثقال، . . . وهذا حديث واضح لنفور الحس عنه والمشقة لتكلفه) [١].

غاية المتكلم توضح الصوت المجهول:-

ومن أبوابه في الخصائص باب في حرف اللين المجهول، ويعني به مدة الإنكار، حيث يتساءل عن أصل هذا الحرف هل هو الواو أم الياء أم الألف؟ فيقول: (وذلك مدة الإنكار؛ نحو قولك في جواب من قال: رأيت بكراً: أبكر نيه، وفي جاءني محمد: أمحمد نيه، وفي مررت على قاسم: أقاسمنيه!. وذلك أنك ألحقت مدة الإنكار، وهي لا محالة ساكنة، فوافقت التنوين ساكناً، فكسر لالتقاء الساكنين فوجب أن تكون المدة ياء لتتبع الكسرة، وأي المدات الثلاث كانت فإنها لا بد أن تُوجِد في اللفظ بعد كسرة التنوين ياء، لأنها إن كانت في الأصل ياء فقد كفينا النظر في أمرها، وإن كانت ألفاً أو واواً فالكسرة قبلها تقلبها إلى الياء البتة، وعلى عادة ابن جنّي في طرح تساؤلاته ثم الإجابة عنها، يتساءل: فإن قيل أفتنص في هذه المدة على حرف معين: الألف أو الياء أو الواو؟، ثم يجيب: لم تظهر في شيء من الإنكار على صورة مخصوصة فيقطع بها عليها دون اختيها، وإنما تأتي تابعة لما قبلها؛ ألا تراك تقول في قام عُمر: أعمروه، وفي رأيت أحمد: أأحمداه،وفي مررت بالرجل: آلرجليه، ثم يظهر ابن جنّي ميله إلى جعل حرف الإنكار هذا الفاً معللاً رأيه بأمرين يرتبطان بغرض المتكلم، أما أحدهما فهو أن الإنكار مضاه للندبة، وذلك أنه موضع أريد فيه معنى الإنكار والتعجب، فمطل الصوت به وجعل ذلك إمارة لتذاكره؛ كما جاءت مدة الندبة إظهاراً للتفجع؛ وإيذاناً بتذاكر الخطب الفاجع، والحدث الواقع، فكما أن مدة الندبة

---

(١) ابن جني، الخصائص ، ج١، ص ٥٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألف ، فكذلك ينبغي أن تكون مدة الإنكار ألفاً.

وأما ثانيهما فهو أن الغرض في الموضعين جميعاً إنما هو مطل الصوت ، ومدة وتراخيه، والإبعاد فيه لمعنى الحادث هناك. وإذا كان الأمر كذلك فالألف أحق به دون أختيها، لأنها أمدهن صوتاً، وأنداهن، وأشدهن إبعاداً، وآناهن، فأما مجيئها تارة واواً. وأخرى ياء فشان لحالها، وعن ضرورة دعت إلى ذلك؛ لوقوع الضمة والكسرة قبلها، ولولا ذلك لما كانت إلا الفاً أبداً [١].

ثانياً: الأبنية:-

يغوص ابن جنّي في أعماق اللفظ ناظراً في ماهية بنائه؛ من حيث حركات حروفه أو سكونها، ومن حيث كيفية الزيادة عليه؛ في أول اللفظ، أم في وسطه أم في آخره، وهل كُرر شيء من حروفه؟، ذلك أن اللفظ عنده بناء قد أحكم رصفه ليترجم المعنى بدقة ووضوح.

هيئة الحدث الخارجي تحدد البناء الداخلي للفظ:-

أ- وتكرير حروف معينة في اللفظ تعني أن الفعل في واقع حدوثه يكون فيه تكرير ايضاً، فهذا باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني يقول فيه: (ذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير؛ نحو الزعزعة، والقلقلة، والصلصلة، والصعصعة، والجرجرة، والقرقرة) [٢]. وحركات الحروف وسكناتها تحاكي ماهية الحدث الذي تعبر عنه. فإن دل الحدث على تتابع الحركة وسرعتها. خلا البناء من السكون وتتابعت

(١) انظر ابن جني: الخصائص ، ج٣، ص ١٥٥

(٢) ابن جني: المصدر نفسه ، ج٢، ص ١٥٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركات فيه نحو: البشكى، والجمزى، والوَلَقَى[١]، وهي أفعال يتم الحدث فيها بشكل سريع متتابع يخلو من السكون أو التوقف. وعبارة ابن جنّي في هذا: (ووجدت ايضاً (الفعلى) في المصادر والصفات إنما تأتي للسرعة نحو البشكى والجمزى والولقى. . . فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر. . . والمثال الذي توالت حركاته للأفعال التي توالت الحركات فيها) [٢].

ج - والحروف التي تتقدم أصول اللفظ تشير إلى مرحلة أو فعل يسبق حدوث الفعل الذي تدل عليه الحروف الأصول، إذ الحروف ترتب حسب ترتيب الحدث في الفعل فـ(استفعل) الذي تقدمت الهمزة والسين والتاء أصوله، تدل في أكثر حالها على الطلب السابق حدوث الفعل نفسه، في حين أن الأفعال التي تُحدّث عنها أنها وقعت عن غير طلب لا تتقدمها مثل هذه الحروف، وإنما ينطق بحروفها الأصول مباشرة، وفي حديث ابن جنّي عما تقدم يقول: (إنهم جعلوا (استفعل) في أكثر الأمر للطلب؛ نحو استسقى، واستطعم، واستوهب، واستمنح، واستقدم عمرا، واستصرخ جعفراً، فرتبت في هذا الباب الحروف على ترتيب الأفعال، وتفسير ذلك أن الأفعال المحدّث عنها أنها وقعت عن غير طلب. إنما تفجأ حروفها الأصول. أو ما ضارع بالصنعة الأصول.

فالأصول نحو قولهم: طعم ووهب، ودخل. . . فهذا إخبار بأصول فاجأت عن أفعال وقعت، ولم يكن معها دلالة على طلب لها ولا إعمال فيها.

وأما عن قوله: (أو ما ضارع بالصنعة الأصول) فيمثل له بأحسن وأكرم، وكأن الهمزة

---

(١) البشكى: بشكى العمل أي سريعة العمل. لسان العرب مادة (بشك).

الجمزى: العدو السريع، لسان العرب مادة (جمز).

الولقى: إسراعك بالشيء في اثر الشيء كعدو في اثر عدو، لسانِ العرب مادة (ولق).

(٢) ابن جني: الخصائص، ج٢، ص ١٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غدت أصلاً من أصوله، ويوضح قائلاً: (وكذلك ما تقدمت الزيادة فيه على سمت الأصل؛ نحو أحسن ، وأكرم، وأعطى،و أولى، من طريق الصنعة بوزن الأصل في نحو دحرج، وسرهف. . وذلك أنهم جعلوا هذا الكلام عبارات عن هذه المعاني، فكلما ازدادت العبارة شبهاً بالمعنى كانت أدلّ عليه، وأشهد بالغرض فيه.

ويعلل ابن جنّي أهمية الزيادة في الفعل بقوله : فلما كانت إذا فاجأت الأفعال فاجأت أصول المُثُل الدالّة عليها أو ما جرى مجرى أصولها، كذلك إذا أخبرت بأنك سعيت فيها وتسببت لها، وجب أن تقدم أمام حروفها الأصول في مثلها الدالة عليها أحرفاً زائدة على تلك الأصول تكون كالمقدمة لها، والمؤدية إليها، وذلك نحو استفعل، فالطلب للفعل والتماسه والسعي فيه والتأتي لوقوعه تقدّمه، ثم وقعت الإجابة إليه، فتبع الفعلُ السؤال فيه. و التسبب لوقوعه فكما تبعت أفعال الإجابة أفعال الطلب، كذلك تبعت حروف الأصل الحروف الزائدة التي وضعت للالتماس والمسئلة[١].

غرض المتكلم يؤثر في بناء الفعل:-

وينظر ابن جنّي إلى تكرير العين في لفظ الفعل ويرى أنها تدل على تكرير الفعل نفسه. استجابة لغرض المتكلم في الإشارة إلى المبالغة أو القوة في حدوث الفعل، ويمعن نظره في علة تكرير العين دون الفاء واللام، ويرى أن العرب لما عزموا الإبانة عن قوة الفعل والمبالغة فيه قصدوا إلى أقوى حروفه وهو العين وذلك لأنها واسطة للفاء واللام،ومكنوفة بهما فصارا كأنهما سياج لها ومبذولان للعوارض دونها، ولذا كرروا العين، ويتابع قوله: فلما كانت الأفعال دليلة المعاني كرروا أقواها، وجعلوه دليلاً على قوة المعنى المحدّث به، وهو تكرير الفعل[٢].

(١) انظر ابن جنّي: الخصائص ، ج٢، ص ١٥٤

(٢) انظر ابن جنّي، المصدر نفسه، ج٢ ،ص ١٥٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غاية المتكلم في الاحتياط تحدد صيغة الفعل:-

وفي باب الاحتياط يورد ابن جنّي قول العرب: لم يقم زيدٌ ويناقش سبب بناء الفعل على صيغة المضارع. رغم أن معناه المضي، وعلى عادته يلتفت إلى الحقائق الكونية التي تحيط بالمتكلم وبالمخاطب وباللغة كذلك. فيتبين له (أن المضارع أسبق رتبة في النفس من الماضي، لأن أول الحوادث أن تكون معدومة، ثم توجد فيما بعد، فإذا نفي المضارع الذي هو الأصل، فما ظنك بالماضي الذي هو الفرع) [١].

وكأن المتكلم أراد أن يحتاط ليستقر معنى النفي في ذهن المخاطب. فنفى المضارع لأنه الأصل فيثبت النفي محققاً للفرع وهو الماضي.

ثالثاً الإعراب:-

عني ابن جنّي بالإعراب كثيراً،وكان يراعي أن يتفق الحكم الإعرابي ومعنى التركيب اللغوي قدر الإمكان، نظر في التركيب اللغوي، فتأمله، وحلله، ثم أجاز أمراً، ومنع آخر معتمداً في ذلك على حجج عديدة منها؛ عدم نقض غرض المتكلم، أو ضرورة توفر الفائدة اللازمة من ورود الألفاظ في هذا التركيب اللغوي، أو وجوب اتفاق الإعراب والحقيقة الكونية الخارجية كما سنرى في ما سماه ابن جنّي بتجاور الأحوال والأحيان.

مراعاة عدم نقض غرض المتكلم يمنع التوكيد:-

راعى ابن جنّي ألاّ ينقض غرض المتكلم عند بناء التركيب اللغوي، ومثال هذا منعه توكيد الهاء المحذوفة في قولنا: الذي ضربت زيد، فعلى حين يجوز توكيدها في قولنا: الذي ضربته زيد. فتقول: الذي ضربته نفسه زيد، لا يجوز أن تقول: الذي ضربت

(١) ابن جنّي: الخصائص ، ج٣، ص ١٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نفسه زيد، بحجة عدم نقض غرض المتكلم؛ ذلك أن حذف الهاء إنما الغرض منه التخفيف، فإن ذهبت تؤكد أطلت، فانتقض الغرض من حذف الهاء وهو التخفيف، وفيه يقول: «إن الحذف هنا إنما الغرض به التخفيف لطول الإسم، فلو ذهبت تؤكده لنقضت الغرض، ذلك أن التوكيد والإسهاب ضد التخفيف والإيجاز، فلما كان الأمر كذلك تدافع الحكمان فلم يجز أن يجتمعا) [١].

غرض المتكلم يمنع إعراباً ويسوغ آخر:-

وأما قولنا: ضرباً زيداً، هل نعرب (ضرباً) توكيداً أم بدلاً؟

يحاكم ابن جنّي هذا اللفظ (ضرباً) بالنظر إلى الغرض الذي يرجوه المتكلم، من قوله (ضرباً)، فإن قصد به توكيد الفعل المحذوف وهو «اضرب» حين يخاطب المهوى بالسيف في يده فيقول له: زيداً، أي اضرب زيداً. لم يجز له ذلك. من قبل أن تلك اللفظة قد أنيبت عنها الحال الدالة عليها، وحذفت هي اختصاراً، فلو أكدها لنقض القضية التي كان حكم بها لها.

وأما إن كان غرض المتكلم أن يجعل (ضرباً) بدلاً من الفعل المحذوف (اضرب) فيقيمه مقامه وينصب به زيداً فقد جاز له ذلك. [٢].

منع توكيد ما نابت عنه الحال المشاهدة:

يمنع ابن جنّي أن يؤكد اللفظ المحذوف الذي نابت عنه الحال المشاهدة ومن ذلك قوله: (قولهم لمن سدد سهماً ثم أرسله نحو الغرض فسمعت صوتاً فقلت: القرطاس والله أي أصاب القرطاس، فيمنع ابن جنّي توكيد الفعل الذي نصب القرطاس، كأن

---

(١) ابن جني، الخصائص، ج١، ص ٢٨٧

(٢) انظر ابن جني، المصدر نفسه، ج١، ص٢٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقول: إصابةً القرطاس، لأن الفعل هنا قد حذفته العرب وجعلت الحال المشاهدة دالةً عليه، ونائبة عنه، فلو أكدته لنقضت الغرض؛ لأن في توكيده تثبيتاً للفظه المختزل، ورجوعاً عن المعتزم، من حذفه واطراحه والاكتفاء بغيره منه [١].

ولكن لِمَ لَمْ يخرّج ابن جنّي هنا (إصابةً) على أنها بدل كما في المثال السابق (ضرباً زيداً)؟

يبدو أن ابن جنّي كان من القائلين أن وقوع المصدر بدلاً من الفعل يقاس في الأمر والدعاء والإستفهام، وفي الخبري المقصود به إنشاء أو وعد. . .وقد جاء عن ابن عقيل: (واختلف في اقتياس وقوع المصدر بدلاً من الفعل، فنقل أكثر المتأخرين عن سيبويه منعه وقصره على السماع، وقيل يقاس في الأمر والدعاء والإستفهام بتوبيخ وغيره، وفي التوبيخ بغير استفهام وفي الخبري المقصود به إنشاء أو وعد) [٢].

غير أن المنع لم يرد عن سيبويه صراحة في كتابه، فقد جاء فيه: (ومما أُجري مُجرى الفعل من المصادر قول الشاعر [٣].

على حين إلهى الناسَ جُلُّ أمورهم فَنَدْلاً زُرَيق المال نَدْلَ الثعالبِ

كأنه قال: اندل، وقال المرّار الأسديّ:

أعَلاقةً أمّ الوليد بعدما أفنانُ راسِكَ كالثّغامِ الُمخْلِس

والإستفهام هنا توبيخي. وأورد بيتاً آخر للمرار الأسدي في الموضع نفسه

بضَرْبٍ بالسيوف رؤوسَ قوم أزلنا هامهنّ عن المقيل [٤]

---

(١) انظر ابن جنّي، الخصائص، ج١ ،ص ٢٨٧.

(٢) ابن عقيل، المساعد على تسهيل الفوائد، ج٢، ص ٢٤١.

(٣) الشاعر: أعشى همدان، أو جرير. أو الأخوص. من شواهد المساعد على تسهيل الفوائد.

(٤) انظر سيبويه، الكتاب، ج١، ص ١١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يعلق سيبويه على هذه الأبيات الشعرية ولم يشر إلى الحالات التي يقتصر عليها إبدال المصدر من الفعل.

وأما عن (إصابة القرطاس) ، فهي خبرية لا تندرج والحالات السابقة الذكر، ولذا لم تصح عند ابن جنّي،و لم يعد (إصابة) بدلاً من (أصاب).

فائدة المخاطب تقود الإعراب:-

وتحقيق الفائدة للمخاطب من تركيب لغوي ما أمر يضعه ابن جنّي في حسابه حين يحلل التراكيب اللغوية من جهة الإعراب، فالإعراب الذي يجعل اللفظ أكثر فائدة للمخاطب يرجحه على الإعراب الذي يسلب اللفظ فائدته للمخاطب، ومن هذا القبيل تناوله لكلمة (خاسئين) الواردة في قوله تعالى : ﴿كونوا قردة خاسئين﴾ [١]، فقد ذهب إلى أنها خبرٌ ثانٍ لـ (كونوا) ، وليست وصفاً، كما رأى بعضهم إذ جاء عن القرطبي قوله: ((خاسئين) نعت، وإن شئت جعلته خبراً ثانياً لكان) [٢]، فالقرطبي إذن يرجح أن تكون نعتاً.

ويحتج ابن جنّي بأن (خاسئين) ليست صفة لأن ذلك يصغّر معناه: ويقول: (وإن جعلته وصفاً لـ (قردة) صغر معناه ؛ ألا ترى أن القرد لذله وصغاره خاسئ أبداً، فيكون إذاً صفة غير مفيدة) لأنها لم تضف معنى جديداً إلى (قردة) بينما إذا جعلت (خاسئين) خبراً ثانياً حسن وأفاد حتى كأنه قال: كونوا قردة وكونوا خاسئين.

ويضيف إلى حجته أنه لو كانت (خاسئين) صفة لـ (قردة) لكان الأخلق أن يكون

---

(١) آية ٦٥، سورة البقرة.

(٢) القرطبي. الجامع لاحكام القرآن. المجلد الاول، ج١، ص ٤٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(قردة خاسئة)، وفي أنه لم يقرأ بذلك البتة دلالة على أنه ليس بوصف[١]، لكن الألوسي يقول في روح المعاني: (ويجوز أن يكون -خاسئين- صفة لـ (قردة) والمراد وصفهم بالصغار عند الله تعالى دفعاً لتوهم أن يجعل مسخهم وتعجيل عذابهم في الدنيا لدفع ذنوبهم ورفع درجاتهم) وكأن الألوسي يرد على ابن جنّي فيقول: (واعترض أنه لو كان صفة لها لوجب أن يقول: خاسئة لامتناع الجمع بالواو والنون في غير ذوي العلم، وأجيب بأن ذلك على تشبيههم بالعقلاء كما في (ساجدين) أو اعتبار أنهم كانوا عقلاء. أو بأن المسخ إنما كان بتبدل الصورة فقط. وحقيقتهم سالمة على ما روي أن الواحد منهم كان يأتيه الشخص من أقاربه الذين نهوهم ، فيقول له: ألم أنهك؟ فيقول: بلى ثم تسيل دموعه على خده) [٢].

ارتباط الأحداث بالأزمان وأثره في توجيه الإعراب:-

ويتناول ابن جنّي التجاور في الأحوال والأحيان. فيتخذ منه وسيلة لتسويغ حكم إعرابي ما، ولا تفوته الإشارة إلى أنه السابق من بين أصحابه في التنبيه إليه حين يقول: (وهذا التجاور الذي ذكرناه في الأحوال والأحيان لم يعرض له أحد من أصحابنا) [٣].

ومن الأمثلة التي يناقشها ابن جنّي تحت هذا العنوان، إعراب (إذ) في قول العرب: أعطيتك إذ سألتني، وزرتك إذ شكرتني، فـ (إذ) معمولة الفعل (أعطيتك) في الجملة الأولى. ومعمولة الفعل (زرتك) في الجملة الثانية؛ ومعلوم أن عمل الفعل في الظرف زمانياً كان أم مكانياً مشروط بأن يقع الفعل في هذا الظرف، ولكن ابن جنّي يتأمل الجملتين فيرى بدقيق نظره أن العطاء لم يقع وقت المسئلة في حقيقة الأمر، وإنما هو

---

(١) انظر ابن جنّي، الخصائص، ج٢ ص ١٥٩.

(٢) الالوسي ، ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١، ص ٢٨٣. دار احياء التراث العربي، بيروت.

(٣) ابن جنّي، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عُقَيب المسئلة، لأن المسئله كانت بسبب العطاء، ولا بد من تقدم وقت السبب على وقت المسبَّب. فزمن المسئلة قد انقضى ومضى ثم وليه زمن العطاء. ولم يقعا في زمن واحد: فما المسوغ إذاً لتكون (إذ) معمولة الفعل (أعطيتك)؟

المسوغ عند ابن جنّي هو ما عبر عنه بتقارب الزمانين وتجاور الحالين، ويقول موضحاً: (لكنه لما كانت العطية مُسبّبة عن المسئلة وواقعة على أثرها، وتقارَب وقتاهما، صارا كأنهما في وقت واحد، فهذا التجاور في الزمان) [١].

نرى كيف ينظر ابن جنّي إلى الحقيقة الكونية الخارجية وما يحدث فيها فعلاً ومدى اتفاقه مع الشرط الإعرابي. وحين يفتقد هذا الاتفاق التام يبحث عن مسوغ ومبرر ليؤمّن هذا الاتفاق بين الحقيقة الخارجية أو الظاهرة الكونية والنظام الداخلي للغة لإيمانه بالتحامهما وعدم انفصالهما.

ونشير سريعاً إلى (إذ) في الجملة الثانية: (زدتك إذ شكرتني) فما تقدم به القول عن (إذ) في جملة (أعطيتك إذ شكرتني)، ينطبق عليها في الجملة الثانية؛ فـ (إذ) معمولة الفعل زرتك، لكن الزيارة لم تحدث أو تقع وقت الشكر، لأن الشكر كان علة الزيارة. فوقت الشكر أولاً ثم تبعه وقت الزيارة، فتقارب الوقتان وصارا كأنهما وقت واحد، فسوغ هذا إعراب (إذ) في كونها معمولة (زرتك).

وإلى المسوغ نفسه يلتجئ ابن جنّي في إعراب (إذ) الواردة في قوله تعالى: ﴿ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون﴾[٢].

فقد اختلف في (إذ) هل هي للتعليل، أم معمولة الفعل (ينفعكم) أم بدل من (اليوم)؟

---

(١) ابن جني. الخصائص، ج٢، ص ١٧٢، وانظر المصدر السابق ج٣ ص ٢٢٢.

(٢) آية ٣٩، سورة الزخرف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الزمخشري فقد قال: (قوله تعالى إذ ظلمتم معناه إذا صح ظلمكم وتبين ولم يبقَ لكم ولا لأحد شبهة في أنكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيامة، وإذ بدل من اليوم ونظيره) [١].

وقال الألوسي: (وفسر ذلك با لتبيّن قيل لئلا يشكل جعله وهو ماضٍ بدلاً من (اليوم) وهو مستقبل لأن تبيّن كونهم ظالمين عند أنفسهم إنما يكون يوم القيامة. فاليوم وزمان التبين متحدان) [٢].

وأورد الألوسي الرأي القائل بأنها للتعليل فقال: (قال الحلبي: لعل الأظهر حملها على التعليل فيتعلق بالنفي، فقد قال سيبويه إنها بمعنى التعليل حرف بمنزلة لام التعليل؟ لكن الألوسي يعقب على قول الحلبي: (بأنه لا يكفي في تخريج كلام الله سبحانه إثبات سيبويه وحده مع إطباق أئمة العربية على خلافه) [٣]، وهذا الشلوبين يرد على من نسب هذا القول إلى سيبويه فيقول: (بأن ظواهر الكتاب في غير موضع تدل على أنها لا تخرج عن الظرفية ومراد سيبويه أنها في معناها في السببية لاغير) [٤]، ومما قاله سيبويه بشأن إذ : (و « إذ » وهي لما مضى من الدهر، وهي ظرف بمعنى مع) [٥]، وقال ايضاً : (. . . فإذا فيما تستقبل منزلة إذ فيما مضى) [٦].

أما ابن جنّي فيبدو أنه يميل إلى إعمال (ينفعكم) في (إذ ظلمتم).

يقول: (طاولت أبا علي رحمه الله تعالى في هذا، وراجعته فيه عوداً على بدء، فكان أكثر ما برد في اليد أنه لما كانت الدار الآخرة تلي الدار الدنيا لا فاصل بينهما. إنما

---

(١) الزمخشري، الكشاف. ج٣، ص ٤٢٠.

(٢) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج ٢٥، ص ٨٣

(٣) الألوسي، المرجع نفسه، ج ٢٥ ص ٨٣.

(٤) ابن عقيل، المساعد على تسهيل الفوائد، ج١، ص ٥٠١.

(٥) سيبويه، الكتاب، ج٤، ص ٢٢٩.

(٦) سيبويه ، المصدر نفسه ج٣، ص ٦٠ وانظر المصدر نفسه ج٣ ص ١١٦، ٢٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هي هذه فهذه، صار ما يقع في الآخرة كأنه واقع في الدنيا، فلذلك أجري اليوم وهو الآخرة، مجرى وقت الظلم وهو قوله (إذ ظلمتم) ووقت الظلم إنما كان في الدنيا، فإن لم تفعل ذلك وترتكبه بقي (إذ ظلمتم) غير معلق بشيء، فيصير ما قاله أبو علي إلى أنه كأنه أبدل (إذ ظلمتم) من اليوم. أو كررّه عليه وهو كأنه هو) [١].

ثم يضيف الألوسي تخريجات أخرى قائلاً: (ومن الناس من استشكل الآية من حيث أن فيها إعمال (ينفعكم) الدال على الاستقبال لاقترانه بلن في اليوم وهو الزمان الحاضر، وإذ وهو للزمان الماضي، وأجيب بأنه يدفع الثاني بما قدروه من التبّين لأن تبّين الحال يكون في الاستقبال. والأول بأن (اليوم) تعريفه للعهد وهو يوم القيامة، لا للحضور كتعريف الآن وإن كان نوعاً منه) [٢].

الحقيقة الكونية مقياسٌ لصحة الإعراب:

ثم إن هذا التجاور المتقدم ذكره لا يكون عند ابن جنّي إلا في الأزمنة دون الأمكنة، لأن كل جزء من الزمان لا يجتمع مع جزء آخر منه، إنما يلي الثاني الأول خالفاً له، وعوضاً منه، فيصير الوقتان كأنهما واحد، أما المكان فالحقيقة الكونية تقرّ بوجود المكانين في الوقت الواحد. بل في أوقات كثيرة غير متقضية، فلما كان المكانان بل الأمكنة كلها تجتمع في الوقت الواحد والأوقات كلها، لم يقم بعضها مقام بعض ولم يجر مجراه، ولذا يمنع ابن جنّي التركيب اللغوي: (جلست في البيت من خارج أسكُفّته) [٣] ، فرغم أن الاسكفة موضع يجاور البيت ويماسّه، إلا أن البيت لا يُعدم فيكونَ خارج بابه نائباً عنه، وخالفاً في الوجود له، كما يعدم الوقت فيعوض منه ما بعده [٤].

---

(١) ابن جنّي، الخصائص، ج٢ ، ص ١٧٢ .

(٢) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ٢٥ ص ٨٣.

(٣) اسكُفّته: عتبة الباب التي يُوطأ عليها. لسان العرب مادة (سكف).

(٤) انظر ابن جني، المصدر السابق ، ج٣، ص ٢٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا يحاكم ابن جنّي حكمه الإعرابي بالنظر إلى مدى مطابقته ومسايرته الحقيقة الطبيعية في الكون أو العالم الخارجي للغة، فاءن اتفق معها الحكم الإعرابي أجازه وإن خالفها منعه.

رابعاً: النظم:-

هناك أمثلة عديدة تنجح في توضيح صورة الربط عند ابن جنّي بين طبيعة النظم وسرّ تركيب مفرداته وبين الملابسات الخارجية للحدث اللغوي. فالحالة التي يعاني منها المتكلم قد تفرض عليه استخدام حرف جر معين في كلامه، ومدى مصداقية فعل الفاعل للفعل تبيح الخروج عن القياس اللغوي. وما يحدث في واقع حياة المتكلمين يؤثر في نوع الجمع المستخدَم للفظ ما ، وألفة المتكلمين أسلوباً معيناً في القول أو النظم تدفع المتكلم لمسايرة هذا الأسلوب في نظمه وإن ابتعد قليلاً على القاعدة النحوية، وطبيعة العلاقة أو الصلة بين الأفراد تتدخل في كيفية التعبير عن هذه الصلة . وفي الألفاظ المعبر بها عنها.

حال المتكلم تقتضي حرف الجر المعّبر عنها:-

التفت ابن جنّي إلى استخدام حرف الجر (على) في تراكيب لغوية من نحو: (خربت عليه ضيعته) و (موّت عليّ عواملي) و (أبطل عليّ انتفاعي)، فالمعلوم أن (على) في الأصل للاستعلاء، وعليه فلما كانت هذه الأحوال؛ التخريب والموت والإبطال كلفاً ومشاق تخفض الإنسان وتضعه وتعلوه وتفرعه، حتى يخضع لها ويخنع لما يتسّداه منها كان ذلك من مواضع (على) ، ويؤكد ابن جنّي قوله هذا بمقارنته بين (على) و (اللام)، فإن كان الأمر أو الحال محبوباً مؤثراً عندك قيل: هذا لك، وإن كان مكروهاً قيل: هذا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليك. فمن هنا دخلت (على) هذه الأفعال التي معناها إلى الإخضاع والإذلال [١]. فمعنى الفعل ونوعية الحال المترتبة عليه والواقعة بالمتكلم أو المخاطب تحددان حرف الجر اللازم استعماله، فما يستعمل في الأحوال المحبوبة المؤثرة غير ما يستعمل في الأحوال المكروه المنفرة.

وفي هذا الموضع يتناول ابن جنّي قوله تعالى: ﴿ فخرّ عليهم السقف من فوقهم﴾[٢] ويرى أنه لو قيل: (فخرّ عليهم السقف ولم يقل من فوقهم لجاز أن يظن به أنه كقولك: قد خرّبت عليهم دارهم، وقد أهلكت عليهم مواشيهم وغلاتهم، وقد تلفت عليهم تجارتهم) [٣]. وذلك بتأثير (على) في الفعل، ولعل بعض المفسرين قد حمل الآية على هذا المحمل حين قال: (فخرّ عليهم السقف من فوقهم أي العذاب أتاهم من السماء)[٤]. ويتابع ابن جنّي: (فإذا قال: (من فوقهم) زال ذلك المعنى المحتمل، وصار معناه أنه سقط وهم من تحته، فهذا معنى غير الأول) [٥]. وهذا ما ذهب إليه الطبري حيث قال: (وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال معنى ذلك تساقطت عليهم سقوف بيوتهم إذا أتى أصولها وقواعدها أمر الله فاتفكت بهم منازلهم) [٦].

الحقيقة الإيمانية لدى المتكلم تبيح له الخروج عن مألوف القاعدة النحوية:-

ويعمل ابن جنّي فكره باحثاً عن المسوغ وراء نظم لغوي معين أو حدث كلامي ما كي لا يضطر - قدر الإمكان - أن يخرجه على الشذوذ؛ فإن لم يجد السبيل للمسوغ داخل

---

(١) انظر ابن جني، الخصائص ، ج٢ ، ص ٢٧٢.

(٢) اية ٢٦، سورة النحل.

(٣) ابن جني، الخصائص، ج٢ ص. ٢٧٠

(٤) القرطبي، جامع البيان في تفسير القرآن، ج ١٤ ص ٦٨.

(٥) ابن جني، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٧١.

(٦) القرطبي، جامع البيان في تفسير القرآن، ج ١٤ ص ٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النظام اللغوي نفسه التفت إلى ما يحيط به خارج إطار الصوت واللفظ والبناء والإعراب. . . الخ.

فلقد سوى العرب في بعض الأفعال بين المتعدي وغير المتعدي: فقالوا : جبرتْ يدُه، وجبرتها، وعَمَر المنزلُ، وعمرته، وسرحت الماشيةُ، وسرحتُها، وزاد الشيءُ وزدته، فالفعل نفسه بصورته الواحدة استخدم مرة غير متعدٍ وأخرى متعدياً وقيل فيه: (هذا كله شاذ عن القياس وإن كان مطرداً في الاستعمال) [١]. ولكن ابن جنّي يظفر بمنفذ يعفيه من القول بالشذوذ عن القياس. ويجعله يجوّز تلك التراكيب المتقدمة، وهو أن كل فاعل - غير الله- ليس الفاعل المطلق، وإنما أكسب القدرة على الفعل وأعين على أدائه وقد استساغَت العرب هذه المساواة بين الفعل المتعدي وغير المتعدي ولم تستنكرها بما أنه في كلتا الحالتين ليس هناك فاعل مطلق، ونوضح هذا بنص ابن جنّي الذي يقول فيه: (فهذا كله شاذ عن القياس وإن كان مطرداً في الاستعمال إلا أن له عندي وجهاً لأجله جاز، وهو أن كل فاعل غير القديم سبحانه فإنما الفعل منه شيء أعيره وأعطيه وأقدر عليه، فهو وإن كان فاعلاً فإنه لما كان مُعاناً مُقدراً صار كأن فعله لغيره؛ ألا ترى إلى قوله سبحانه: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ [٢] . . . فلما كان قولهم: غاض الماء أن غيره أغاضه وإن جرى لفظ الفعل له، تجاوزت العرب ذلك إلى أن أظهرت هناك فعلاً بلفظ الأول متعدياً؛ لأنه قد كان فاعله في وقت فعله إياه إنما هو مُشاء[٣] إليه. أو معان عليه فخرج اللفظان لما ذكرنا خروجاً واحداً فاعرفه) [٤]. أي أن إيمان

(١) ابن جني، الخصائص، ج٢ . ص ٢١٣.

(٢) آية ١٧ سورة الانفال.

(٣) مُشاء: شئت الشيء اشاؤه. ومشيئة. ومُشاءة. أردته. لسان العرب مادة (شيا).

(٤) ابن جني، الخصائص، ج٢. ص ٢١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المتكلم بأن الفاعل الحقيقي لكل الأفعال هو الله عز وجل أباح له استعمال تلك الأفعال بوجهيها المتعدي وغير المتعدي.

عادة المتكلم في أموره الحياتية تجوز له العدول عن صيغة جمع إلى صيغة أخرى:

وفي فصل (الحمل على المعنى) يعلل ابن جنّي لجوء الشاعر لتكسير (رسول) على (أرسل) في قوله:[١]

لوكان في قلبي كقدْر قلامةٍ حبّا لغيرك قد أتاها أرسلي

فأفعل من تكسير المؤنث؛ كأتان وآتُن، وعناق وأعنق، وعُقاب وأعقب، ورسول مذكر، ومع ذلك فقد كسرها الشاعر على (أرسل). وينظر ابن جنّي إلى ما يحدث في واقع الحياة بين الناس، فيرى أن الرسول بين العشاق في الغالب هي المرأة، وبهذا يبرر لجوء الشاعر إلى (أرسلي)[٢]. ولا يُدرى هل -فعلاً- هذا ما كان حاضراً في ذهن الشاعر حين نظم الفاظه تلك؟ ، وليس الامر ببعيد فقد يكون الشاعر قد تصور أمامه المرأة حين خطر بباله لفظ (رسول) فجمعها على (أرسل). وعلى أية حال هي لفته تنبئ عن منهج ابن جنّي في التعامل مع اللغة من خلال إطارها وعالمها الخارجيين

ألفة المتكلم لنظم لغوي معين تعدل به عن النظم اللازم نحوياً:-

فإذا ألف المتكلم واعتاد نظماً معيناً أباح له العدول عن النظم اللازم الذي يفرضه النظام اللغوي الداخلي إلى آخر بحكم الألفة والاستئناس وعلى هذا يخرج ابن جنّي قول الشاعر (وأحسنه) بإفراد الضمير في البيت الشعري لذي الرقة

ومّية أحسن الثقلين وجهاً وسالفة وأحسنه قذالا

---

(١) الشاعر : قيل هو الهذلي، الخصائص، ج ٢ ، هامش ص ٤١٦ .

(٢) انظر ابن جني، الخصائص ، ص ٢ ص ٤١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فحق الضمير في (وأحسنه) أن يكون (وأحسنهم) إذ الموضع موضع جمع لتقدم اللفظ بالجمع في (الثقلين)، ولكن لما كان هذا التركيب اللغوي قد اعتاد العرب فيه الإفراد كقولك: هو أحسن فتىً في الناس فقد (أفرد الضمير مع قدرته على جمعه، وهذا يدلك على قوة اعتقادهم أحوال المواضع وكيف ما يقع فيها؛ ألا ترى أن الموضع موضع جمع، وقد تقدم في الأول لفظ الجمع فترك اللفظ وموجب الموضع إلى الإفراد؛ لأنه مما يؤلف في هذا المكان) [١].

فائدة المخاطب مقياس لصحة النظم:

وقد تبدو بعض التراكيب اللغوية صحيحة تسير وفق قواعد اللغة نحو: (أحق الناس بمال أبيه ابنه)، ولكن حين يحللها ابن جنّي ناظراً إلى الصلة بين الأفراد الوارد ذكرهم في التركيب اللغوي يكشف أنه تركيب غير صحيح، فيقول: (ومن المحال قولك: أحق الناس بمال أبيه ابنه، وذلك أنك إذا ذكرت الأبوة فقد انطوت على البنوّة فكأنك إذاً إنما قلت: أحق الناس بمال أبيه أحق الناس بمال أبيه، فجرى ذلك مجرى قول: زيد زيد، والقائم القائم، ولذلك فليس في اللفظ الثاني زيادة فائدة للمخاطب عما في اللفظ الأول، وليس على ذلك عقد الاخيار؛ لأنه يجب أن يستفاد من الجزء الثاني ما ليس مستفاداً من الجزء الأول، وعليه فصحة المسألة أن تقول: أحق الناس بمال أبيه أبرهم به، وأقومهم بحقوقه، فتزيد في الثاني ما ليس موجوداً في الأول[٢].

ثم يورد ابن جنّي أبياتاً شعرية فيها تكرار للفظ معين. قد يظن أنه يجري مجرى (زيد زيد) و (القائم القائم) السابق ورودهما، وليس هو كذلك، ومنه قول أبي النجم[٣]:

---

(١) ابن جني، الخصائص، ج٢ ، ص ٢١٣ .

(٢) انظر ابن جني، المصدر نفسه، ج٣ ، ص ٣٣٦

(٣) الخزانة : أبو النجم العجلي، ج (١) الشاهد (٧١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

*** أنا أبو النجم وشعري شعري***

وقول ثانٍ[١]:

إذا الناس ناسٌ والبلاد بعزة وإذا أمُّ عمار صديقٌ مساعِفُ

وقول ثالث:

هذا رجائي وهذي مصر عامرة وأنت أنت وقد ناديتُ عن كثب

ويوضح ابن جنّي الفرق قائلاً: هذا كله وغيره مما جرى مجراه، محمول عندنا على معناه دون لفظه، إذ الأول يفسره على معنى: شعري متناه في الجودة، والثاني أي: إذ الناس أحرار والبلاد أحرار، والثالث أي وأنت المعروف بالكرم. وعليه فليس ما في الجزء الثاني هو ما في الجزء الأول. ولذا صح القول هنا لهذه الأغراض والمعاني المُرادة والمعتزمة [٢].

عدم اتساق النظم وواقع الحقيقة الكونية يفسده:-

ومن التراكيب اللغوية التي تبدو سليمة وتسير وفق قواعد اللغة قولك: (زيد أحسن أخوته)، فعندما يحلل ابن جنّي المعنى ويحاكم التركيب يرى أن نظم الألفاظ يفضي إلى معنى يخالف الواقع والحقيقة الكونية، فقولك (زيد أفضل أخوته) يعني أن زيداً واحدٌ من أخوته، وليس هو كذلك، (ذلك أن أفضل: أفعل، وأفعل هذه التي معناها المبالغة والمفاضلة، متى أضيفت إلى شيء فهي بعضه، كقولك: زيد أفضل الناس، فهذا جائز؛ لأنه منهم، والياقوت أنفس الأحجار؛ لأنه بعضها...ولا نقول: الياقوت أنفس الطعام، وعلى هذا لم يجيزوا زيد أفضل أخوته؛ لأنه ليس واحداً من أخوته، وإنما هو

(١) جاء في الخزانة: أشد الليث، وصحيحفي الهامش: أن البيت لأوس بن حجر. ج ٥، ص ٤٢٩

(٢) انظر ابن جني، الخصائص، ج٣ ، ص ٣٣٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واحد من بني أبيه) [١].

غير أن بعضهم قد فسره على معنى : (الأحسن من بينهم. فليس على معنى من، بل على اختصاص الموصوف بأفعل التفضيل، ولا يكون حينئذ بعضاً مما أضيف إليه) [٢].

وقد أيد ابن جنّي في تحليله لهذا المثال بعض النحويين المتأخرين بقوله: (وتقول زيد أفضل الأخوة فهذا جائز؛ لأنه أحد الأخوة، فإن قلت: زيد أفضل أخوته لم يجز؛ لأن هذا الكلام يوجب أن يكون زيد أخا نفسه، وهذا محال)[٣] فالأخوة مضافون إلى ضمير زيد، وهي الهاء في أخوته، فلو كان واحداً منهم وهم مضافون إلى ضميره كما ترى؛ لوجب أيضاً أن يكون داخلاً معهم في إضافته إلى ضميره، وضمير الشيء هو الشيء البتة، والشيء لا يضاف إلى نفسه) [٤].

خامساً الذكر: -

وتلفي المتكلم أحياناً يعدل عن لفظ إلى لفظ آخر لعلاقة ما بين اللفظين، أو لأمر يتصل بخبرة المخاطب، أو تمكيناً للمعنى في نفسه، وكل هذا نجده في تحليلات ابن جنّي للتراكيب اللغوية ومنه:

اكتفاء المتكلم بالسبب دون المسبّب لإدراك المخاطب العلاقة بينهما:

وقد يعدل المتكلم أحياناً عن ذكر لفظ معهود استخدامه في تركيب لغوي ما إلى لفظ آخر له علاقة [٥] باللفظ المعدول عنه، معتمداً على معرفة المخاطب وإدراكه لمقصوده،

---

(١) ابن جني ، الخصائص، ج٣، ص ٣٣٣

(٢) ابن عقيل، المساعد على تسهيل الفوائد ج٢ ص ١٧٥

(٣) الصيمري، التبصرة والتذكرة، ج١، ص ٢٩٢

(٤) ابن جني، المصدر نفسه، ج٣ ص ٣٣٤

(٥) من نحو علاقات المجاز المرسل: الكلية، الجزئية، الحالية، المحلية، السببية. المسببية اعتبار، ما كان، اعتبار ما يكون.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونظفر في باب الاكتفاء بالسبب من المسبَّب، وبالمسبَّب من السبب عند ابن جنّي، ببعض الأمثلة التي توضح صورة من صور هذا العدول. ويقدم لهذا الباب بقوله: (هذا موضع من العربية شريف لطيف. وواسع لمتأملة كثير، ومنه قول رؤبة:

يا رب إن أخطأت أو نسيت فأنت لا تنسى ولا تموت

معلوم أن حقيقة الشرط و جوابه، أن يكون الثاني مسبَّباً عن الأول نحو: إن زرتني أكرمتك، فالكرامة مسبّبة عن الزيارة، وليس هذا ينطبق على قول رؤبة، فعدم نسيان الله تعالى وعدم موته ليس مرتبطاً أو مسبباً عن خطأ رؤبة، إنما تلك صفة لله تعالى من صفات نفسه، والكلام محمول هنا على معناه، أي إن أخطأت أو نسيت فاعف عني؛ لنقصي وفضلك. فاكتفي بذكر الكمال والفضل -وهو السبب- من العفو وهو المسَّبب. [١].

خبرة المخاطب بأفعاله تسوغ العدول عن لفظ الى آخر:-

ويتناول ابن جنّي الآية الكريمة: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله﴾ [٢]، التي كان القرطبي قد أورد لها تفسيرين هما: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وإذا كنت يا محمد قارئاً القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، وكان بعض أهل العربية يزعم أنه من المؤخر الذي معناه التقديم. وكأن معنى الكلام عنده وإذا استعذت بالله من الشيطان الرجيم فاقرأ القرآن)[٤]. ويتفق ابن جنّي والتفسير الأول فيقول: فإذا أردت قراءة القرآن. . . وهذا أولى من تأويل من ذهب إلى أنه أراد: فإذا استعذت فاقرأ؛ لأنه فيه قلباً لا ضرورة بك إليه، وايضاً فإنه ليس كل مستعيذ بالله واجبة عليه القراءة. وعلى تأويل (فإذا أردت قراءة القرآن) يكون قد اكتفى بذكر السبب وهو القراءة

---

(١) انظر ابن جني، الخصائص، ج٣، ص ١٧٥.

(٣) آية ٩٨، سورة النحل.

(٤) القرطبي، جامع البيان في تفسير القرآن، ج١٤، ص ١١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من ذكر السبب الذي هو الإرادة [١]، فالمخاطب يدرك أنه يستعيذ في مواقف عديدة تمرّ به في حياته اليومية، وليست الاستعاذة مرتبطة بقراءة القرآن فقط.

ذكر اللفظ تمكيناً للمعنى في نفس المخاطب:-

والتراكيب اللغوية من نحو: (مثلي لا يأتي القبيح) و(مثلك لا يخفى عليه الجميل) اعتقد فيها زيادة لفظ (مثل) ، وفسرا: أي أنا كذا، وأنت كذا، ومنه قول الشاعر:[٢]

مثلي لا يحسن قولاً فعفع

أي أنا لا أحسن ذاك، وكأن ورود لفظ (مثل) في التركيب اللغوي هذا لم يؤد أي معنى، وليس هو كذلك عند ابن جنّي لأن أي عنصر لغوي يدخل في بناءالتركيب اللغوي لا بد له من وظيفة عند ابن جنّي، وليست الألفاظ تدخل أو تخرج من التركيب اللغوي دون ضابط يسوغ دخولها وخروجها.

أما مؤدى المعنى هذا؛ (أنا كذا، أنت كذا، أنا لا أحسن ذاك) فيوافق عليه ابن جنّي لكنه يختلف معهم في التأويل. فالتأويل عنده: أي أنا من جماعة لا يرون القبيح، وإنما جعله من جماعة هذه حالها ليكون أثبت للأمر؛ إذ كان له فيه أشباه وأضراب، ولو انفرد هو به لكان غير مأمون انتقاله منه وتراجعه عنه، فإذا كان له فيه نظراء كان حري أن يثبت عليه وترسو قدمه فيه[٣].

سادساً الحذف:-

يفسح ابن جنّي للحديث عن الحذف غير موضع في كتابه الخصائص، كما في (باب

---

(١) انظر، ابن جني، الخصائص، ج٣ ، ص ١٧٣.

(٢) انظر اللسان مادة (همله).

(٣) انظر ابن جني المصدر نفسه، ج٣، ص ٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في شجاعة العربية) و (باب في أن المحذوف إذا دلت الدلالة عليه كان في حكم الملفوظ به) و (باب في زيادة الحروف وحذفها) وغيرها مما تفرق في ثنايا الخصائص.

وقد عرض ابن جنّي لحذف الجملة، وحذف المفرد، وحذف الحرف، وحذف الحركة، ومدار الأمر عنده أن الحذف لا يجوز إلا إذا دل دليل عليه، فيقول: (قد حذفت العرب الجملة، والمفرد والحرف، والحركة ، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته) [١].

وأما إذا انعدم الدليل فقد امتنع الحذف، فإن قلت: مررت بطويل؛ لم يستبن من ظاهر هذا اللفظ أن الممرور به إنسان دون رمح أو ثوب أو نحو ذلك. ولذا يمتنع حذف الموصوف هنا.

وهذا الدليل إنما يلتمس من ألفاظ التركيب اللغوي نفسه، أو من المحيط الخارجي للغة؛ أي من خلال الحقائق الكونية التي يعرفها المتكلمون والمخاطبون. أومن خلال شرعهم ودينهم. وعاداتهم وتقاليدهم أو من خلال الحال المشاهدة للحدث اللغوي.

ومثال الدليل الملتمس من ألفاظ التركيب اللغوي نفسه يتضح في قول الشاعرعوف بن الخرع:

شَدوا المطية على دليل دائب من أصل كاظمة بسيف الأبجر

قالوا في معنى (على دليل) أي: بدليل، أما ابن جنّي فيستدل على المحذوف من التركيب اللغوي نفسه، ويفسره: على دلالة دليل، فيقول: (وهو عندي أنا على حذف المضاف؛ أي شدوا المطي على دلالة دليل، فحذف المضاف، وقوى حذفه هنا شيء؛

---

(١) ابن جني، الخصائص، ج٢ ، ص ٣٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأن لفظ الدليل يدل على الدلالة) [١]

اعتماد المتكلم على حقيقة الموت يبيح له الحذف:-

ومن أمثلة الدليل الملتمس من خارج إطار التركيب اللغوي ما يتضح في قول الشاعر طرفة بن العبد:

فإن متُّ فانعيني بما أنا أهله وشقي عليّ الجيب يا ابنة معبد

فقد حذف الظرف، إذ التقدير أي إن مت قبلك، فالموت حقيقة كونية لا مفرّ منها، ولذا نرى أنه لا يجوز أن يشرط الإنسان موته؛ لأنه يعلم أنه ميّت لا محالة[٢]. وإنما المعنى يستوي على تقدير (قبلك) لأنه يطلب منها أن تنعاه وتبكيه.

خبرة المخاطب بلغته تسوغ للمتكلم الحذف:-

وخبرة المتكلمين والمخاطبين بلغتهم وما تعارفوا عليه فيها يبيح لهم الحذف لقيام الدليل في نفوسهم ومنه قول امرئ القيس:

*** فقلت يمين الله أبرح قاعداً***

فحذف (اللام)[٣] من (لاأبرح). لأنه لو أراد الواجب (أبرح) لما جاز: لأن (أبرح) هذه لاتستعمل في الواجب، فلا بد أن يكون أراد (لا أبرح) فحذف اللام لضمانه معرفة المخاطب بمراده . هذه المعرفة النابعة من خبرته بلغته أو كما يقول ابن جنّي: لقوة المعرفة

---

(١) ابن جني، الخصائص، ج٢، ص ٣١٢.

(٢) انظر ابن جني، المصدر نفسه. ج٢، ص ٣٧٢.

(٣) من شروط جواز حذف حرف النفي مطلقاً ثلاثة:

١- ان يكون هذا الحرف (لا) .

٢- أن يكون المنفي به مضارعاً.

٣- ان يكون ذلك في القسم.

وقد توفرت جميعها في البيت الشعري المذكور انظر ابن عقيل .شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، ج١ هامش ص ٢٦٥. دارالفكر ط (١٦).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالموضع [١].

معرفة المخاطب بشرع عقيدته يسوغ الحذف:-

فقيام الدليل الشرعي في نفس المخاطب يغني عن ذكر بعض الألفاظ ، ومنه قوله تعالى: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾[٢]. وتقدير المحذوف - على حد أحد الأقوال في تفسير الآية- : (فمن شهده صحيحاً بالغاً).

فرغم أن حذف الحال لا يحسن [٣]، ذلك أن الغرض فيها إنما هو توكيد الخبر بها. إلا أن قيام دليل من الإجماع والسنة يبيح حذف الحال عند ابن جنّي وهي (صحيحاً بالغاً) وفي هذا يقول: (أما ما أجزناه من حذف الحال في قوله تعالى . . . فطريقه أنه لما دلت الدلالة عليه من الإجماع والسنة جاز حذفه تخفيفاً، فأما لو عريت الحال من هذه القرينة وتجرد الأمر دونها لما جاز حذف الحال على وجهه) [٤].

والحال المشاهدة دليل قوي يقوم مقام ما حذف، وأمثلته عند ابن جنّي، وفيرة بارزة ، وقد عرض في ثنايا هذا البحث بعض منها [٥]

---

(١) انظر ابن جني. الخصائص. ج٢، ص ٢٨٤.

(٢) آية ١٨٥، سورة البقرة.

(٣) يجيز بعض النحاة حذف الحال: (ويجوز حذف الحال، ما لم تنب عن غيرها نحو: ضربي زيداً قائماً. وكالواقعة بدلاً من اللفظ بالفعل في توبيخ وغيره نحو: أقائماً وقد قعد الناس).
انظر ابن عقيل، المساعد على تسهيل الفوائد. ج٢، ص ٣٩.

(٤) ابن جني، المصدر السابق، ج٢ ص ٣٧٩.

(٥) انظر البحث، ص (١٠٠).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

وبعد، فهذه جولة قصيرة في رحاب كتاب الخصائص لابن جنّي، لا أدري فيما أيهما فاق الآخر صوابي أم خطأي، إذ يأبى الله تعالى العصمة لكتاب غير كتابه العزيز.

وهذا بحث عزمت فيه أن أكشف عن جانب من جوانب رؤية ابن جنّي للغة، ومنهجه في تحليلها ومعالجتها في تبيانه القوانين التي تنتظمها، وهو الجانب الاجتماعي، من باب المساهمة في إحياء أصل من أصول الدرس اللغوي عند العرب من خلال عمل ابن جنّي في الخصائص خاصة.

وأملي أن أكون قد وقفت على المواطن الصحيحة التي تؤيد ما ذهب إليه البحث بأن البذور الأولى لعلم اللغة الاجتماعي كانت قد نبتت في حقل ابن جني. وأملي أيضا أن أكون قد وُفّقت في استجلاء دور ابن جنّي في لفت النظر إلى الجانب الاجتماعي للغة وفي إبراز مساهماته في وضع بعض أسس هذا العلم كما في نظرية سياق الحال التي أطّرها فيرث وكنا قد وجدنا معظم عناصرها عند ابن جنّي حين تحدث عن الحال المشاهدة بكل تفصيلاتها ودقائقها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أهم المصادر والمراجع

ابن الأنباري، ابو البركات، نزهة الألباء، تحقيق ابراهيم السامرائي. مكتبة المنار. الأردن، الطبعة الثالثة ١٩٨٥م.

ابن جرير الطبري،الانصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر بيروت، جامع البيان في تفسير القرآن، دار الباز للنشر. مكة المكرمة. الطبعة الثالثة ١٩٧٨م.

ابن الجزري، ابو الخير محمد، النشر في القراءات العشر، دار الفكر، بدون تاريخ.

ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار. دار الهدى، بيروت. الطبعةا لثانية. بدون تاريخ

المنصف في شرح كتاب التصريف للمازني، تحقيق ابراهيم مصطفى، عبد الله أمين، القاهرة ١٩٥٤م المحتسب، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرون، لجنة احياء التراث القاهرة، ١٣٨٦هـ.

ابن الحاجب، جمال الدين عثمان، الكافية في النحو، شرح الشيخ رضى الدين الاستراباذي، دارالكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ.

ابن السراج، محمد بن السري، الاصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، بدون تاريخ.

ابن عطية الاندلسي، محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق المجلس العلمي بفاس. ١٩٨٢م.

ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله، المساعد على تسهيل الفوائد . تحقيق وتعليق. محمد كامل بركات – دار الفكر. دمشق الجزء الاول ١٩٨٠، الجزء الثاني، الطبعة الأولى ١٩٨٢ الجزء الثالث، دار المدني ، جدة ١٩٨٤.

ابن مالك،ابو عبد الله محمد جمال الدين، شرح الكافية الشافية، تحقيق عبد المنعم احمد هريدي، دارالمأمون للتراث. الطبعة الاولى ١٩٨٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر بيروت ، بدون تاريخ.

ابن النديم، محمد بن اسحق، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت. بدون تاريخ.

ابن هشام الانصاري، ابو محمد عبد الله، شرح شذور الذهب. دار الفكر. بدون تاريخ.

ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل، عالم الكتب ، بيروت، بدون تاريخ.

ابو زيد، محمود، اللغة في الثقافة والمجتمع، دار الكتاب للطباعة والنشر ، ١٩٨٨م.

الألوسي، محمود شكري، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، والسبع المثاني، دار احياءالتراث العربي، بيروت ، بدون تاريخ.

أمين، احمد، ظهر الاسلام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة. القاهرة ١٩٤٥م.

أنيس، د. ابراهيم، الاصوات اللغوية. مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الخامسة. ١٩٧٩ .

الباخرزي، دمية القصر، تحقيق سامي مكي العاني، بغداد ١٩٧١.

بشر، كمال، التفكير اللغوي بين القديم والحديث، مكتبة الشباب، بدون تاريخ.

البغدادي، عبد القادر ، خزانة الادب،تحقيق عبد السلام هارون، الهيئةالمصرية العامة ١٩٧٩ .

الثعالبي، يتيمة الدهر. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. الطبعة الاولى. ١٩٤٧م.

الجرجاني، عبد القاهر ، دلائل الاعجاز، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨ .

جفال، د. محمود، شذرات معجمية في كتاب الخصائص، مجلة ابحاث اليرموك، العدد الاول/ المجلد التاسع ١٩٩١م.

بحث الاستحسان عند ابن جني، منشورات مجلة دراسات العلوم الانسانية، العدد السادس،المجلد (٢٢)، ١٩٩٥م.

الجمل، سليمان، حاشية الجمل على الجلالين، المكتبة الاسلامية دار احياء التراث، بيروت.

جون ليونز، اللغة وعلم اللغة، ترجمة وتعليق مصطفى التوني ، دار النهضةالعربية، ١٩٨٨م.

حسان، د. تمام، في علم اللغة العام. مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثالثة. ١٩٨٠م.

حسني، د. محمود، المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي. مؤسسة الرسالة، الطبعة الاولى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٩٨٦م.

الراجحي، . عبده، فقه اللغة في الكتب العربية. دار النهضة العربية بيروت. ١٩٧٢م.

الرازي، فخرالدين، التفسير الكبير، دار الفكر. بيروت ١٩٧٨م.

رضوان، محمد، نظرات في اللغة، دار الحقيقة، بنغازي الطبعة الاولى، ١٩٧٦م.

الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

السامرائي، . فاضل، ابن جني النحوي، ١٩٦٠ .

السعران، . محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. دار الفكر العربي. القاهرة بدون تاريخ.

سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، عالم الكتاب، الطبعة الثالثة ١٩٨٣.

السيد، . صبري ابراهيم، علم اللغة الاجتماعي. مفهومه وقضاياه دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية . ١٩٩٥م.

السيوطي، بغية الوعاة، تحقيق ابي الفضل، مطبعة الحلبي الطبعة الاولى ١٩٦٤م.

الشلتاوي، موسى ابراهيم، دور السياق في منهج التحليل النحوي عند سيبويه. مخطوطة رسالة ماجستير. الجامعة الاردنية ١٩٩١. ٤٨٠٥٥٧

الشلقاني، عبد الحميد، رواية اللغة، دار المعرفة، مصر . بدون تاريخ.

الصيمري، ابو محمد عبد الله، التبصرة والتذكرة، تحقيق فتحي احمد علي الدين ، دار الفكر، دمشق، الطبعة الاولى ١٩٨٢م.

ضيف، . شوقي، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة ، الطبعة الخامسة .

عمايرة، . خليل، فهارس لسان العرب، مؤسسة الرسالة ١٩٨٧م.

فندريس ، اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الانجلو المصرية. ١٩٥٠م.

القزويني، جلال الدين الخطيب ، الايضاح في علوم البلاغة، تحقيق لجنة الأزهر، مطبعة السنة المحمدية.

القرطبي، ابو عبد الله محمد، الجامع لاحكام القرآن. دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لطفي، مصطفى، اللغة العربية في اطارها الاجتماعي، معهد الانماء العربي الطبعة الاولى ، بيروت ١٩٧٦م.

مجاهد، . عبد الكريم، الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء للنشر، عمان.

الموسى، . . نهاد، الاعراف او نحو اللسانيات الاجتماعية في العربية، مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية ١٩٨٦م –الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه، بحث نشر في مجلة حضارة الاسلام، دمشق ١٩٧٤م.

هدسون، علم اللغة الاجتماعي، ترجمة عبد الغني عياد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الاولى ١٩٨٧م.

ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار احياء التراث، الطبعة الاخيرة، بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

The Sociolinguistic Perspective in Ibn Jinni's Approach of Linguistic Analysis in his Book al-Khasā'is.

Prepared by Saida Al-Eis

Supervisor Dr. Mahmoud Al-Hadeed

The Study aimed at exploring the role of Ibn Jenni in the language analysis through observing different symbols and notes in "AL-Khasais" which show Ibn Jenni's awareness and consideration of the social aspect of the language .

He compiled these notes and put them in a theoretical frame work making up a theory in terms of the social aspect of the language approach in the light of sociolinguistics .

The question the study will answer is : Has Ibn Jenni considered the social dimension in descrbing Arabic and designing the standards of the syntactical system ? Furthermore, to what extent was he successful in displaying the existence of relation between language system and the external surrounding?

The importance of the study lies in its contribution in reviving a source of the language study through the work of Ibn Jenni in AL-Khasais, in particular .

In my introduction to the research I presented a general idea about the general linguistics by defining the language schools such as: structural, functional and generative school, and then the English social school which reprsented the approach for the socilinguistics .

I examined certain main titles in sociolinguistics which will assist the study when relating the visions of sciolinguistics with Ibn Jenni's social symbols and notes of the language .

Before starting the external language analysis of Ibn Jenni, I examined his approach of internal language analysis in a bid to clarify the difference between the two approaches in terms of the sounds, syntax, inflection and structure .

This was done through studying some language matters stated in AL-Khasais and presenting them in a manner that shows Ibn Jenni's method and approach in dealing with the internal process of the language . In the meantime, Icited some syntactical views of previous grammarians like Sebawaih or those who came after like Ibn Malik and some others . Idid not quote much views and statements of linguists or grammarians in the examples .

The Language case was not an end by itself, similarily, the aim was not to give preference to one opinion over another. The focus was on the approach or method that Ibn Jenni followed in an attempt to observe the signs and notes which show his social view of the language.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit